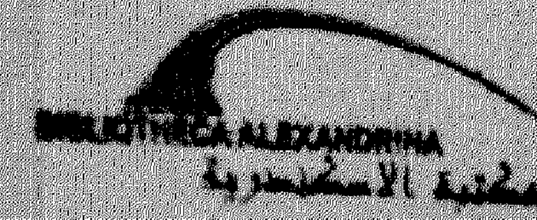
دور المساجد التاريخي في التثقيف العلمي

علي محمد الشاذلي الخولي





العدد العاشر

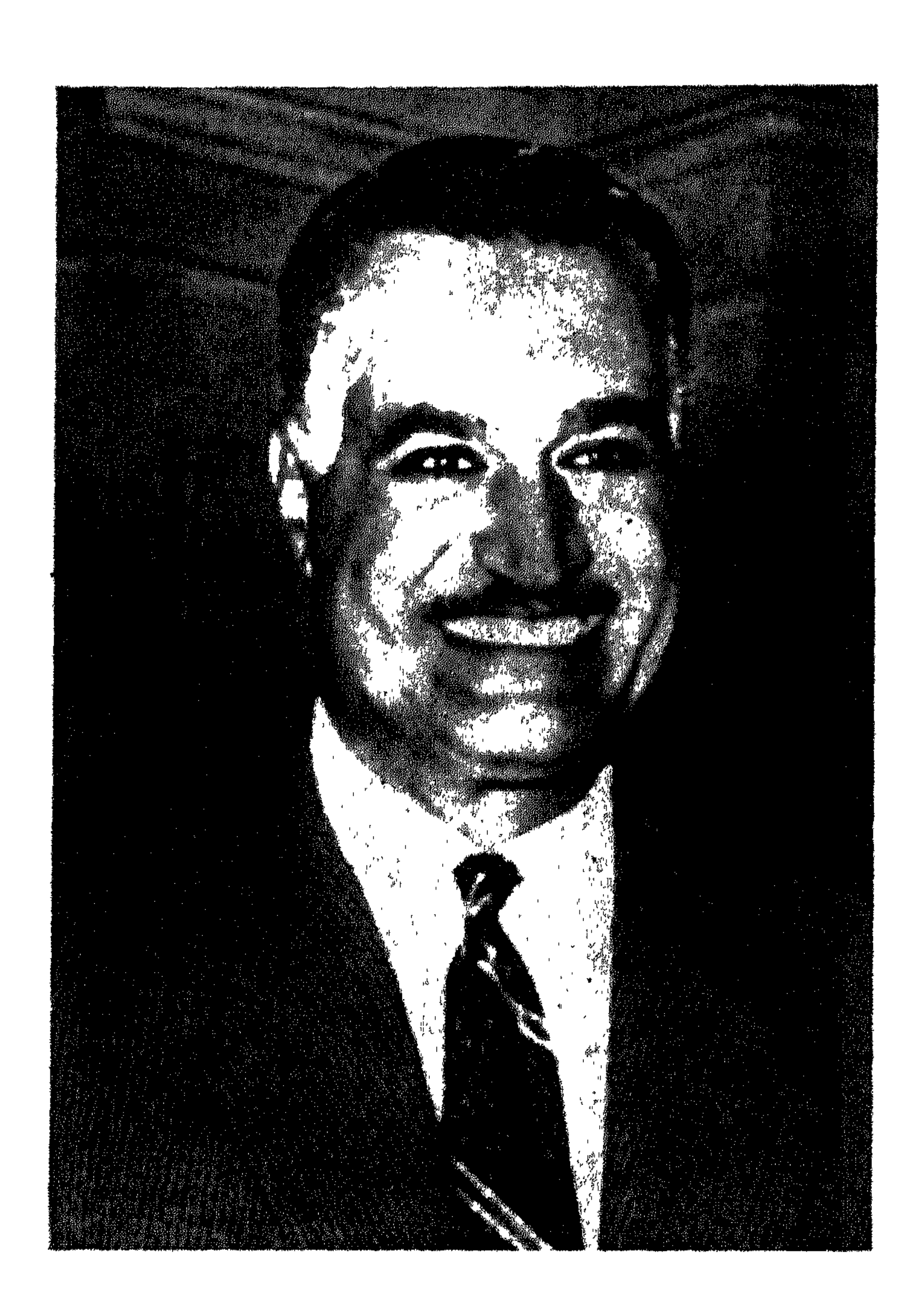
وزارة الأوقاف - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة

كتب إسلامية
يصدرها
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
وزارة الأوقاف

دور المساجد التاريخي في التثقيف العلمي

علي محمد الشاذلي الخولي

يشرف على إصدارها
محمد توفيق عويضة



بسم الله الرحمن الرحيم

« إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَوٰةَ وَءَاتَى
الزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ
أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ » .

صدق الله العظيم

مقـــــدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على امام المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين • وبعد :

فان الباحث فيما قامت به المساجد من خدمات انسانية ، منذ نشأة الاسلام الأولى حتى اليوم ، يجد أن هذه الخدمات لم تقتصر على العبادة دون سواها ، **وانما كانت منازل وحي ومجالس شورى ومعاهد علم ، كانت مراكز قيادة ومشاعل هداية وبيوت مال • أليست هي الحسنة الجارية ، والذكرى الخالدة ، والعلامة الدالة على أن هاهنا انسانا خيرا ، عرف الله فشاد بيتـــا له ! أليست المساجد مستراض قلوب ، تغشاها ، فكأنما اجتزت الدنيا الى الآخرة ولما تزل حيا ! فأنت وربك ليس بينك وبينه حجاب تدعوه تضرعا وخفية ! •**

فاذا ما استضافك رمضان ، شهر الحسنات والقرآن ، رأيت المساجد بمناراتها الرشيقة ، وأنوارها الوضـــيئة وكأنها تسبح فى موكب جمال الهى ، تناديك أن أقدم •• ! وحينما وجـــدت المسجد فثمة طهارة وعبادة ، والله يحب التوابين ويحب المتطهرين »

ودور المساجد التاريخى فى التثقيف العلمى من الأدوار المخصبة فى حياة الأمة الاسلامية ، ويبدو أن العلماء والمشرعين لم يجدوا أمنا ولا طمأنينة فى تفهمهم لكتاب الله وســـنة نبيه الا فى ظـــلال المساجد ، ومن ثم كانت المساجد فى الحجاز والعراق والشـــام والأندلس ومصر بمثابة معاهد دينية وجامعات علمية ، لها طابعها وثقافتها وتقاليدها ونظمها وجلالها وروعتها • « وقد تواضع مؤرخو

المساجد على أن يطلقوا كلمه المسجد الجامع على المسجد المكون من أربعة ايوانات مسقوفة فى الغالب ، ومحمولة عقودها على عمـــد رخامية أكبرها ايوان المحراب ، ويتوسط الايوانات صحن مكشوف تتوسطه قبة تحتها فسقية ٠

اما تصميم المدرسة فيشتمل على ايوانين ، أو أربعة معقــودة متقابلة تكون شكلا متعامدا أكبرها المحراب ، وأصغرها الايوانان الجانبيان ، ويتوسطها غالبا صحن مكشوف به قبـــة الفسقيه ٠ وملحق به عادة مدفن للمنشىء ، وسبيل يعلوه كتاب ، ومساكن للطلبة ، ولما صغر حجمها غطى الصحن واستغنى عن الفســقية وعن قبتها ٠

ومع ذلك وجدت مدارس اشتملت على ايوانين معقـــودين ، وآخرين مسقوفين ذات عمد وعقـــود ، وايوانين معقودين شرقى وغربى ، وآخرين صغيرين تكتنفهما حجرات ٠

وفى القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميـــلادى) غلب تصميم المدرسة على المسجد ، فأنشىء على مثالها الكثير من المساجد، بصرف النظر عن كونه خصص لدراسة مذهب أولا ، وكان يكتب عليها تارة مدرسة وأخرى مسجد ، مما يقرر القول : بأن هــذه الأسماء ترجع الى وظيفة البناء لا الى البناء نفسه ، وكان مدلولها الغرض الذى أقيم من أجله لا طراز بنائه ٠

على أن تصميم المسجد كان سائرا جنبا الى جنب مع المدرسة ، وزيد على المســـجد الحاق الســـبيل والكتاب ومدفن للمنشىء أحيـــانا ٠

واذا كان تصميم المدرسة قد أخذ فى التلاشى فى العصر العثمانى، فان تصميم المسجد ظل قائما فى مصر والأقاليم حتى الآن » ٠

هذا وقد تعرض البحث للمســاجد ذات الأثر العميـــق فى التثقيف العلمى ، فجعلها ركيزته التى استمد منهـــا مادته ، ثم

رتبنا المساجد بحسب وجودها الزمنى ، فطاوعنا هذا الترتيب فى قارة آسيا ، فلما تعرضنا لمساجد شمال افريقيا . وجدنا المنهج يتمشى مع الترتيب الجغرافى . فكان أن بدأنا بالسودان ، الا أننا تخطينا مصر وتعرضنا لليبيا ثم لتونس ، ومنهما عبرنا البحر الأبيض المتوسط الى حيث كانت توجد بلاد الأندلس · ثم عدنا الى مصر ، فألفيناها حقا قلعة العلم الحصينة ، فاحتمينا بها وألقينا عصا التسيار فى أزهرها المعمور ومدارسها الطاهرة ·

والله اسأل أن يوفقنا الى ما يحب ويرضى ·

المؤلف

البيت العتيــــق

قال الله تعالى : « **ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين** »

وروى التاريخ : أن أبانا آدم عليه الســـلام ، عندما هبط الى الأرض ، تملكه الجزع والخوف ، فرفع راسه نحو السماء وناجى ربه قائلا : « **رب ! مالى لا أسمع صوت تسبيح الملائكة ولا أحس بهم ؟!** » .

فكان الجواب :« **انها خطيئتك يا آدم .. اذهب وابن لى بيتا ، وطف به ، واذكرنى حوله** » .

فانطلق يبحث عن مكان يبنى فيه البيت الذى أمر ببنائه ، حتى اذا ما انتهى الى وادى مكة ، بنى البيت الذى أصبح منذ ذلك العهد، موضعا مباركا ، يحج اليه الناس ، التماسا للرحمة والمغفرة .

وعندما رحض طوفان سيدنا نوح عليه السلام ، الأرض رحضا، كان من آثاره أن تهدم البيت العتيق ، فأرسل الله سبحانه وتعالى جبريل عليه السلام ، الى السيدة هاجر زوج سيدنا ابراهيــم الخليل ، فأشار لها الى مكان البيت العتيــق ، وقال : **هذا أول بيت وضع للناس** ، واعلمى أن ابراهيم واسماعيل يرفعان قواعده للناس ويعمرانه ، ولا يزال معمــورا محرما مــكرما الى يوم القيامة .

وبعد سنوات أقبل ابراهيم الخليل ليرى زوجتــه وابنه ، فأخبرته هاجر بما قاله لها جبريل عليه السلام ، فقام ومعه ولده اسماعيل الى الأكمة الحمراء التى كانت هى الأثر الباقى من البيت العتيق ، وطفقا يحفران الأساس ، ثم أخذ اسماعيل يأتى بالحجارة

لأبيه الذى تولى عملية البناء ، حتى اذا ما أدركه التعب ، جلس على حجر ومضى فى البناء ، فسمى هذا الحجر « مقـام ابراهيم » ، ولما وصل البناء الى الركن الجنوبى ، أمر بأن يأتيه بحجر متين . فراح يبحث هنا وهناك ، واذا بجبريل يهبط من السماء بحجر أسود ، فحمله اسماعيل الى أبيه ، وأخبره بقصـــته ، فوضعه حيث يقوم الآن من الكعبة المشرفة .

ثم يروى لنا التاريخ قصة « حفر زمزم » وما كان من شأنها بين عبد المطلب وقريش انها القصة التى يتمثل فيها الوفاء .. والفداء معا . وهى التى يشير اليها النبى صلى الله عليه وسلم محدثا عن نفسه بقوله : « أنا ابن الذبيحين » !

ثم يأتى من بعد ذلك عام الفيل ، وهو العام الذى يحاول فيه أبرهة الحبشى هدم الكعبة فيرتد عنها لا مخذولا مدحورا فحسب، بل يصبح هو وجيشه وأفياله كالعصف المأكول ! .

وقبل أن يكتمل عام الفيل ، يظهر فى السماء نجم أحمد ، فتضع آمنة بنت وهب وليدها المنتظر ، فينشق ايوان كسرى ويهتز عرش قيصر ، فيعلم أهل الكتاب أن نبى الهدى قد شرفت بمولده البرية !
« **النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوارة والانجيل** »

ثم ينشب ذلك الخلاف الشهير بين قبائل قريش ، بسبب من يضع منهم الحجر الأسود فى مكانه من الكعبة وقت ان كانوا يرمونها . وينحسم الخلاف بما قضى به الفتى الصادق الأمين محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب ..

والمتتبع لكل هذه الأحداث المتتالية ، يلمح العلائق التى ربطت الأرض بالسماء ، منذ أن اتخذ الله له بيتا فى مكة . وأسكن من حوله خليله وذريته ، جاعلا من بينهم سدانة البيت وسقاية الحاج، الى أن يصطفى من خيار خيارهم مصطفاه الحبيب ، وما كان ذلك كله الا لتتقابل أو تتشابك أصول أرومته العريقة مع أسس بيتـــه العتيق فى أظهر مكان اختاره الله فى الأرضين .. !!

ثم يأتى الاسلام وتفرض الصلاة ، فنرى الله تعالى يقول لنبيه الكريم « **قد نرى تقلب وجهك فى السماء ، فلنولينك قبلة ترضاها، فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره** » •

وبهذا ندرك أن الله سبحانه وتعالى ، قد جعل من بيته العتيق رمزا لوحدة روحية يستشعرها المسلم ، فى اى مكان ، خمس مرات ، على الأقل — فى اليوم الواحد ••

وبما أن البيت العتيق هو بيت الله ، والصلوات الطيبات لله ، « وان المساجد لله » وأن ظل الله فى يوم لا ظل الا ظله ، سيستظل به « **رجل قلبه معلق بالمساجد** » • وأنه « **انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر** » فان أول شىء عمله النبى بعد أن نجا بدين الله الى المدينة كان بناء المساجد • أو قل بناء بيوت الله • !

المسجد النبوى

قيل ان أول مسجد بنى فى الاسلام هو مسجد قباء بالمدينة ، ثم من بعده المسجد النبوى ، **الا أن المسجد النبوى ينفرد بالدور القيادى على المساجد جميعها** ، ففيه كان يتنزل الوحى على سيدنا رسول الله ، وفى جنباته كانت الصفوة المختارة من الصحابة تتعلم وتتفقه وتتلقى التوجيه السماوى ممن لا ينطق عن الهوى ، ومن ثم صدر عن هذا المسجد أكثر التشريع الاسلامى العتيد ، فهو فى الواقع المنبع الثر لأكثر الأحاديث النبوية التى كانت ولا تزال نبراسا للأمة العربية فى تاريخها الحافل . وحول هذا المسجد بالذات ثوى المهاجرون ممن شهدوا بدرا لا يبرحون المدينة أبدا حتى بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم .

ألست معى فى أن هذا المسجد كان مركز الخلافة فى أهم عصر من عصور الاسلام ، أيام أبى بكر وعمر وعثمان ؟ أليس هو ثالث المساجد التى تشد اليها الرحال ؟ ألم يكن هو المكان المختار لمجلس عمر بن الخطاب فى قضائه وتدبيره شئون الدولة الاسلامية الفتية ، وعنه خرجت فتاويه للناس ، فى الوقت الذى كان فيه مجلس شوراه الخاص مع عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب ، وعبد الرحمن ابن عوف ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن مسعود ، وزيد ابن ثابت ، ومعاذ بن جبل ، وعبدالله بن عمر بن الخطاب ، وغيرهم من الفقهاء وذوى الرأى والرشاد ؟ ثم ألم يكن للتابعين فى هذا المسجد الخالد دورهم القيادى هم الآخرون ، فيتخرج فيه سعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير بن العوام ، ثم من بعدهما ابن شهاب الزهرى القرشى وأنس بن مالك صاحب المذهب الشهير ؟

هؤلاء وغيرهم كثير ممن وعنهم كتب السنة والفقه ، كانوا طلابا وأساتذة فى آن معا فى جامعة الاسلام الأولى التى مقرها المسجد النبوى فى المدينة المنورة خلال القرنين الأول والثانى من هجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام .

الحـــرم المـكى

يقول صاحب فجر الاسلام « لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، خلف فيها معاذا يفقه أهلها ويعلمهـم الحلال والحرام ويقرئهم القرآن ، وكان معاذ من أفضل شباب الأنصار علما وحلما وسخاء ، وقد شهد المشاهد كلها مع رسول الله ، وكان يعد من أعلم الصحابة بالحلال والحرام ، ومن أقرئهم للقرآن ، وممن جمع القرآن على عهد الرسول ، وقد روى عنه ابن عباس وابن عمر ، ومات شابا في طاعون عمواس .

كذلك علم بمكة عبد الله بن عباس فى أخريات أيامه ، فقد علم فى البصرة ، وعلم فى المدينة ، ثم لما كان الخلاف بين عبد الملك بن مروان وعبد الله بن الزبير ، ذهب الى مـــكة وعلم بها . **فكان يجلس فى البيت الحرام ويعلم التفسير والحديث والفقـــه والأدب** » .

والى عبد الله بن عباس وأصحابه يرجع الفضل فيما كان لمدرسة مكة من شهرة علمية ، وأشهر من تخرج فى هذه المدرســـة من التابعين مجاهد ، وعطاء بن أبى رباح ، وطاوس بن كيسان .

واستمرت هذه المدرسة قائمة تتلقى العلم فيها طبقة عن طبقة ، حتى كانت الطبقة التى أخذ عنها الامام الشافعى فى بداية نشأته ، ولما قارب العشرين من عمره تحول الى المدينة يتم فيها دراسته ، على يد الامام مالك فقيه دار الهجرة !

رحم الله ابن الخطاب ! ، فلقد كان من الألمعية وبعد النظر ، وتقدير للأمور ما يستلّ منك العجب العجاب ، ويتركك مأخوذا

بباهر عبقريته وسعة أفقه الذى لا نهاية له ·· فلقـــد رأى أن الفتوح الاسلامية ، التى أخذ مدها يزداد سنة بعد أخرى ، ربما يجرف تيارها الوحى ، دعوة الدين الجديد ، فما كان منه الا أن أرسل مع كل قائد من قواد جيوشه ، صحابيا من جلة الصحابة ، فكان عبد الله بن مسعود فى (العراق) وعبد الله بن عمرو بن العاص مع أبيه فى (مصر) ·

ثم أصدر أمره الى الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، ألا يبرحوا أرض الحجاز الا باذن أمير المؤمنين ··

« العراق »

والبصرة والكوفة

فى العام الرابع عشر الهجرى تم للمسلمين فتح العراق ، على يد سعد بن أبى وقاص فى خلافه أمير المؤمنين عمــر بن الخطاب ، **فكان أول مسجد بنى فيه ، كان بالقرب من البصرة القديمة ، وهو مسجد عتبة بن غزوان المازنى أحد القواد ، ثم تلاه مسجد سيدنا على ابن أبى طالب رضى الله عنه** • وقيل ان الذى بنى ثانى مساجد البصرة هو أبو موسى الأشعرى •

على أن البصرة نمت وازدهرت بسرعة غريبة ، فصــارت بعد زمن وجيز ، مدينة كبيرة ذات أسواق واسعة ، ومساجد متعددة• وكانت موضع اهتمام الخلفاء الراشدين لتوسطها بين سورية والحجاز ونجد وفارس ، فضلا عن أنها « باب العراق » • ولذلك زهت منذ أول عهدها بأعاظم الرجال ، وصارت مجتمعــا للعلماء والمجتهدين ، كما صارت موضع رعاية الأمويين والعباسيين الى أن بنى المنصور مدينة بغداد ••

وتبعا لهذه المنزلة الخاصة انتشرت المساجد بالبصرة انتشارا مطردا ، فكانت أوفر حظا من زميلتها الكوفة التى أمها كثير من العلماء التى حولتهم مساجد اقل عددا من مساجد البصرة •• !

وفى مساجد البصرة والكوفة أخذ النحو العربى شكله الذى هو عليه الآن ، وكان الرائد الأول فى هذا الميدان هو الخليــل ابن أحمد الذى يعزى اليه ادخــال الحركات ، بدلا من النقط فى الكتابة العربيــة ، كما أضاف للشعر العربى بحورا جــديدة لم تكن معروفة للعرب من قبل . وكان الخليل يلقى دروسه فى مسجد البصرة فكان سيبويه أحد تلاميذه النجباء وكثير غيره من أعلام العلماء •

ومن بين علماء البصرة : أبو الأسود الدؤلى ، والمهلب بن أبى

صفرة ، والحسن البصرى ، والفرزدق الشاعر ، ومحمد بن سيرين ، وأبو عبيدة ، والأخفش ، والأصمعى ، والجاحظ ، وأبو الحسن الأشعرى .

ومن أشهر علماء الكوفة : سفيان الثورى رضى الله عنه . وعلى رأس العراق جميعه عبد الله بن مسعود كما أسلفنا . ثم يأتى من بعد ذلك الامام الأعظم أبوحنيفة النعمان فقيه العراق فى زمنه .

بغداد

اتخذ العباسيون الكوفة أول عاصمة لهم ، ثم بنوا مدينة على مقربة من الكوفة أسموها الهاشمية ، ثم اخذ المنصور يفكر فى نقل عاصمته الى مكان أمين ، فوقع اختياره على بقعة تقع بين دجلة شرقا ، ودجيل شمالا ، وقطربل غربا ، والصراة جنوبا . ولما اعتزم المنصور بناءها أحب أن ينظر اليها عيانا فأمر أن تخط بالرماد ، ثم أقبل يدخل من كل باب فى فصلانها وطاقاتها ورحابها وهى مخطوطة بالرماد .. ثم أمر أن يجعل على تلك الخطوط حب القطن، ويصب عليه النفط ، فنظر اليها والنار تشتعل ، ففهمها وعرف رسمها ، وأمر أن يحفر أساس ذلك على الرسم ، وعند ذلك شرع فى البناء وكان ذلك فى عام ١٤٥ هـ . وفى سنة ١٤٩ هـ تم بناؤها ، وجميع مرافقها ، فكان منظرها العام على شكل دائرة .

وفى عهد الرشيد امتدت الأبنية فيها فى الجانبين امتدادا عظيما ، حتى صارت كأنها مدن متلاصقة تبلغ الأربعين ، وبلغ سكانها نحوا من مليونى نسمة ، **والمساجد الجامعة خمسة مساجد، أما المساجد غير الجامعة فأكثر من عشرة آلاف مسجد** ، ويقول ابن بطوطة « وببغداد من المساجد التى يخطب فيها وتقام الجمعة ، أحد عشر مسجدا ، منها بالجانب الغربى ثمانية ، **وبالجانب الشرقى** ثلاثة ، والمساجد سواها كثيرة جدا ! » .

« **كانت المساجد والمساجد الجامعة على الأخص ، مباءة لأشياخ**

العلم ، ومرادا لتلاميذهم ، فكان الشيخ يجلس الى سـارية من سوارى المسجد ، ويحلق أمامه الطلبة ، فيقول وهم يسمعون ، أو يقرأ أحدهم وهو يسمع ويشرح ويوضح ، فكان كل مسجد بمثابة جامعة تتألف من عدة كليات ، فان المسـجد الواحد قد يضم من حلقات العلم العدد العديد · فهنا حلقات لتدريس علم الكلام ، وهناك لتعليم الفقه ، وأخرى لرواة الحديث · وهكذا تجد المسجد الواحد يشتمل على حلقات كثيرة لعلوم كثيرة ، ما بين شرعية ، ولسانية وكونية ، وفى جنب هذه المساجد توجد مدارس لا تكاد تحصى عدا ·

ومن أساطين علماء الشريعة ، أبى جعفـر محمـد بن جرير الطبرى صاحب تفسير « جامع البيان فى تفسير القرآن » ، وكذلك أبى الثناء شهاب الدين السيد محمود الألوسى صاحب تفسـير « روح المعانى فى تفسير القرآن والسبع المثانى » ·

ومن عظماء المحدثين ، الامام أحمد بن حنبل ، وابنه عبد الله ، وأبى الحسن بن عمر الدارقطنى ، والخطيب البغدادى ·

ومن الثابت أن رجال الحديث قد وجهوا عنايتهم الى كتـابة المصنفات الجامعة والمختصرة ، فى حسن ترتيب ، وجمال تبويب ، واسهاب فى التفصيل ·

أما الفقه فى مساجد بغداد ، فكان له شـأن أى شـأن ، فقد حكموا الرأى والقياس فى استنباط الأحـكام الشرعية الفرعية بالاضافة الى ما ورد فى القرآن والسنة والآثار المروية عن الصحابة· وقد زار الامام محمد بن ادريس الشافعى بغداد مرتين ، احداهما فى سنة ١٩٥ هـ والثانية فى سنة ١٩٨ هـ واجتمع بعظماء فقهـاء بغداد ، ولما فارقها تطور مذهبه بعض الشىء · وممن لقيهم الشافعى فى بغداد الامام أحمد بن حنبل الذى كان معظم البغداديين على مذهبه·

أما علم الكلام ، ويسمى علم العقائد ، وعلم أصـول الدين ، فان السلف الصالح من الصحابة والتابعين ، كانوا يستدلون على

عقائدهم بظاهر الكتاب والسنة ، واذا تعذر عليهم فهم المتشابه منهما آمنوا بظاهره ، ووكلوا أمر الباطن الى الله مع التنزيه الأكمل للذات الآلهية ، غير أن هذه الطريقة فى فهم العقائد لم تقنع الجماعات التى دخلت فى الاسلام من أهل الأديان الأخرى ، التى كانت تعج بالشبه والخلافات ، فركنوا فى تقرير العقائد ورد الشبه الى الأقيسة العقلية والاشكال المنطقية !٠

ولما صارت بغداد مدينة كان المسلمون ينقسمون فى تقرير أصول عقائدهم الى فريقين : فريق يعتمد على المنقول من الكتاب والسنة ، ويقال لهم الجماعة وأصحاب الحديث • وفريق يعتمد فى تقرير عقائده على المعقول • واذا تعارض المعقول والمنقول ، عمدوا الى تأويل المنقول ، وهؤلاء هم المعتزلة ! •

وكان الصدر الأول من خلفاء بنى العباس ، يؤيدون أهل هذا المذهب وينصرونهم على أتباع المذهب الأول ، ولقد جرت فى بغداد خطوب بين الفريقين ، ذهب ضحيتها بعض رجال الحديث ، ولا سيما على عهد المأمون الذى حاول أن يشغل الناس بالمنازعات الدينية عن المنازعات السياسية ، فكان له ما أراد ! »

أما العلوم الكونية التى منها علوم الفيزياء ، والكيمياء ، والطب ، والصيدلة ، والهندسة ، والميكانيكا ، وعلم الفلك ، وعلم السياسة ، وعلم المال ، وعلم الأخلاق ، وعلم الموسيقا ، كانت تدرس فى مساجد بغداد • ومن ثم قصدها كثيرون من الشام وفارس والهند ، يغترفون من ينابيعها الفياضة بهذه العلوم •

ومن أشهر العلماء فى نهاية القرن الثالث الهجرى : أبو بكر محمد بن زكريا الرازى ، الذى ألف فى الكيمياء ، والطب ، والفلسفة• وأولاد شاكر وأولاد موسى ، محمد واحمد والحسن ، فالأول كان واسع المعرفة بالهندسة والفلك وسائر العلوم الرياضية • والثانى كان ماهرا فى الميكانيكا • والى أولاد موسى يرجع الفضل فى قياس محيط الأرض ! •

وعندما أفل نجم الخلافة العباسية فى بغداد ، خمدت جذوة هذه العلوم •

وكان للأدب في ذلك العصر سوقا نافقة ، وكتبا رائجة، ومؤلفات تعد الآن من أمهات الكتب ، ككتاب البيـــان والتبيين للجاحظ ، وعيون الأخبار لابن قتيبة ، والكامل للمبـرد ، والأمالى لأبى على القالى ، والأغانى للأصبهانى •

ويقول الألوسى فى كتابه « تاريخ مساجد بغداد : « **لم ندرك نحن ولا آباؤنا أثرا من آثارها •• ولم يبق منها سوى بقايا مئذنة، بقيت تشكو بلسان حالها ! »** •

وانه وان كانت هذه المساجد ، قد اندثرت ودرست معالمها ، دون أن تترك ما يدل عليها سوى بقايا مئذنة من الزمن الغابر ، وهياكل أضرحة فى الزمن الحاضر ، ثم يقال : ان ها هنا كان مسجد كذا وكذا • **الا أن الثروة العلمية التى كانت تدرس أصلا فى هذه المساجد والتى نقلتها الينا الكتب جيلا بعد جيل ـ تجعل تلك المساجد حية فى قلوبنا ، فان لم نكن قد رأيناها بأعيننا المجردة ، فقد رأيناها بعين البصيرة •• ويكفى أن يكون التاريخ من رواتها، والأقلام تستمد بياضها من بحور علومها !!**

الشـــام

ولما أنعم الله على المسلمين بفتح الشام ، ونشر الدين الحنيف بين ربوعه ، كانت المساجد مراكز الاشعاع الثقافى فى تلك الأصقاع المترامية الأطراف •

وكان العرب فى جاهليتهم قد عرفوا هذه البلاد فاستوطنوها ؛ وذلك طمعا فى خيراتها ، وخصوبة أرضها ، وكثرة مياهها ، واعتدال جوها . فكان ذلك عاملا قويا فى تثبيت قواعـد الدين الاسلامى ، وكانت اللغة العربية تتضافر مع عوامل الجنس فى انتشـــار تعاليم الدين بين أظهر أقوام لغتهم أدنى الى فهم لغة القرآن الكريم .

ولما آلت الخلافة الى معاوية بن أبى سفيان ، اتخذ ((دمشق)) عاصمة له ، فشيد بها قصره المشهور ، ثم تنافس الخلفاء الأمويون من بعده فى اقامة القصور والمساجد الجامعة ، حتى اذا كان عهد الخليفة الأموى ، الوليد بن عبد الملك ، بنى الجامع الأموى . ولقد تأنق الوليد فى بنائه ، حتى قيل : انه أنفق على عمارته خراج الشام وحده سبع سنوات ، لأنه جاء على مثال متقدم فى بناء المساجد ! وكان الخلفاء يخطبون فيه أيام الجمع ، فتجتمع بداخله دمشق كلها ! ولقد بلغ من الروعة والفخامة ما لا يصدقه العقل ، حتى اذا ما جاء زمن الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز ، وأتت اليه وفود ملك الروم . دهشوا لروعة بناء الجامع الأموى ، وان رئيس هذه الوفود خر مغشيا عليه عندما رفع رأسه الى قبة المسجد من شدة لمعان الذهب الذى بقبته ، فلما أفاق قال : **اننا معشر أهل رومية كنا نتحدث ، أن بقاء العرب قليل ، فلما رأيت ما بنوا علمت أنهم باقون مخلدون !.**

وكان كلما يبسط بنو أمية سلطانهم على البلدان والأقاليم ، وتتواتر أخبار الجيوش الاسلامية بالظفر والانتصار ، فى الأندلس وعلى حدود الصين ، **كان التهليل والتكبير يدويان فى أرجاء الجامع العجيب !.**

كانت دمشق يومئذ قلب العروبة النابض ، وكان الجامع الأموى قلب دمشق ! والقلب اذا صلح صلح الجسم كله ، **فلذلك عمر الايمان قلب الجامع الأموى ، فأمه الطلاب والعلماء يتحلقون حول سارياته يتدارسون مختلف العلوم والمعارف ، بينما القضاة يجلسون فى مشارفه يفصلون بين الناس بما أنزل الله من الحق !. فاذا ما طفت بأطراف الجامع الكبير قابلتك خزائن كتبه العامرة بالتواليف والكتب . فكان هذا أدعى الى رفع مستوى المجتمع الشامى .**

فلما دالت دولة الأمويين ، وجاء العباسيون لحق هذا الجامع الكثير من المهانة ، فاضطهدوا أهل دمشق وأهانوا قلبها ، محتجين بأنهم يوطدون أركان دولة بنى العباس .!

ولكن الجامع الأموى ، بعد انقشاع هذه الغمـــة ، ظل مركزا للعلم ، ومجتمعا للناس ، وملاذا للعبادة .!

ويجىء عهد الفـــاطميون ، فتقتتل أجنادهم مع أجنـــاد الدمشقيين ، فيلقون النيران على الدور والقصـــور . فتسرى الى الجامع ، وتشتعل فى سقفـــه ، فتتساقط فصوصه الذهبية . ولا تتركه سوى حيطانا أربعة مجردة .!

ويأتى عهد السلاجقة فيجددون عمـــارته ، ويبنون قبته . ويقومون أركانه ، فتعود اليه سيرته الأولى وتستأنف بداخـــله حلقات العلم كسابق العهد به !.

ولكن البلاء الأصفر ، المسمى بالتتر ، يجتاح فى طريقه الحدود والسدود ، حتى اذا ما يصل الى دمشق يخرب المساجد كلهـا . ويخرب الجامع الأموى ، وكأن بين التتار وبيوت الله ثأر قديم !

ولكن الله ثار لبيوته ولدينه ، فأذل التتر فى عين جالوت على يد قطز العظيم فانحسر طوفانهم الى ما وراء بلاد الاسلام . تم أخذ الشاميون يعمرون الجامع الأموى ، ويعيدون اليه رونق شبابه حتى انتهى به الأمر الى الصورة التى هو عليها الآن .!

فلو أن الله سبحانه وتعالى ، كان قد كتب للجامع الأموى حياة علمية مستقرة ، لأضحى الآن جامعة اسلامية لا يشق لهـا غبار . فلقد أرفدت جامعة دمشق العقلية الاسلاميـــة برافد الأفكار المتحررة ، والاجتهاد الذى يماشى التطور الحديث . فلقد كان لكل من الائمة : عبد الرحمن الاوزعى ، وابن تيمية ، وابن قيم الجوزية ، فضل السبق فى مجالات الفهم الصحيح لأصول الدين الحنيف ، فى الوقت الذى كادت تطمره معاول الجمود الذى ران على العقول فى غضون تلك الحقب .!

ويطول بنا الحديث اذا ما تتبعنا آثار الرسالة العلمية التى نهضت بها مساجد سوريا فى القديم والحديث فذلك شرح يطول . ولكن الذى لا شك فيه أن مساجد حمص وحلب وحمـاه ، كانت تذخر بكبار العلماء وبمئات الطلاب منذ أول نشأتها حتى الآن .

ولعلنا ونحن نعجب لياقوت فى معجمه ، ولابن حجة فى ثمرات أوراقه ، ولأبى الفداء فى تاريخه ، وفى حكمه لمدينته ، ولابن واصل فى سيره ـ نخال أن هؤلاء الأعلام لا يزالون على قيد الحياة ، يدرسون ويؤلفون ، ولا يزال الناس من حياضهم يغترفون .!

المساجد فى السودان

دخل الاسلام بلاد النوبة ((السودان)) على يد عبد الله بن سعد والى مصر فى خلافة سيدنا عثمان بن عفان ، أثر موقعة « دنقلة العجوز)) التى انتهت بمصالحة ملك دنقلة على شروط ، كان من بنودها : أن يتولى أهل النوبة العناية بأمر مسجد المسلمين . ويبدو أن هذا كان أول مسجد أنشىء بالسودان .

وان من طبيعة الفتح الاسلامى ـ فى جميع مراحله ـ التمكين لنشر الدين وتبصير الناس بتعاليمه ، فكان العرب بعد الفراغ من عملية الفتح ، ينصرفون الى بناء المساجد فىالامصار التى افتتحوها.

فلما أن جاء عهد العباسيين ، وأمعن ولاتهم فى اضطهاد الأمويين، نزح الكثيرون من بنى أمية الى الحبشة والسودان ، واتجه نفر منهم الى سنار وأقاموا بها ، ثم لم يلبثوا أن أسسوا لهم ملكا ، وجعلوا سنار عاصمة له ، وسموا أنفسهم ملوك « الفونج » !

واتخذ أول ملوكها ((عمارة دنقس)) سياسة العرب فى بناء المساجد أهم عمل يتقرب به الى الله ، فاختص سنار بمسجد أنيق ذى مئذنة سامقة أقامه بجوار قصره فكان يخرج لكل صلاة يؤم الناس فى هذا المسجد ، ويتصدى لتدريس أصول الدين بداخله . فصار منذ ذلك اليوم مدرسة سنار الكبرى .

كذلك كان الحال فى سلطنة « دار فور » تلك التى أسسها سليمان سفيان ، المعروف باسم « سليمان سولونج الأول » وكان أبوه من العباسيين الذين نزحوا الى السودان ، وقد آل اليه الحكم بعد وفاة جده لأمه الذى كان حاكمها المسيحى .!

فلما أن جاء عهد السلطان الناصر بن قلاون ، كانت بلاد النوبة تقع تحت نفوذه ــ وكان كلما عاهد الأهلين عهدا نقضوه ــ عمد الناصر هذا الى اسقاط الجزية عن غير المسلمين فدخلت تلك البلاد فى الاسلام ، ومن ثم انتشر سيل بناء المساجد ، فعمرت الثقافة الاسلامية تلك البلاد .

على أنه يمكن القول بأن سنار كانت منبع الثقافة الدينية منذ أن دخل الاسلام بلاد السودان ، فقد أنشئت بها ما يسمى « بالخلاوى » وهى أمكنة يؤمها طلاب العلم يحفظون القرآن ويتعلمون التجويد ، فاذا ما انتهى الطالب من هذه المرحلة أخذ يتلقى العلم على أحد الفقهاء كما يتلقى تعاليم التصوف . **الا أن الشيخ محمود العركى أحد أفاضل علماء ذلك العصر ، قصر التعليم فى الخلاوى على حفظ القرآن وتجويده ، وأن تختص المساجد بتدريس العلوم الأخرى ، فصارت المساجد معاهد علمية يتصدى للتدريس فيها أفاضل العلماء** ، وكان من أشهر علماء مملكة سنار أولاد جابر الركابى بالشايقية ، وتعتبر مدرستهم المعهد الدينى الأول فى السودان كله !.

وكان لعلماء سنار منزلة مرموقة كتلك التى للشيخ محمد عيسى سوار الذهب ، الذى تخرج على يديه العالم الورع الشيخ عبد الله البديوى صاحب مدرسة « الغبش » ولم يقتصر الأمر على هؤلاء العلماء ، فقد هاجر الى السودان علماء من أقطار شتى ، كانوا يجلسون فى المساجد يعلمون الناس . وكان من هؤلاء كثير من رجال التصوف الأعلام ، أمثال محى الدين بن العربى ، والجنيد الحلاج وأبو الحسن الشاذلى ولعل ذلك كان السبب فى انتشار الطرق الصوفية فى السودان انتشارا لم يحظ بمثله قطر عربى آخر ، على ما نعلم .!

ومساجد سلطنة دار فور تمتاز بالضخامة والسعة ، وقد تصدى للتدريس فيها علماء من المغرب ومن مصر ، ومن السودانيين المتخرجين فى الأزهر ، وهؤلاء العلماء دفعوا بلادهم فى موكب

الحضارة والمدنية ، ولا يزالون يدفعونها الى الأمام ، بعد أن تلقفوا أعلامها من المساجد ثم طوره الى معاهد .. والى جامعات .!

زوايا السنوسية

ونحن اذ نغادر السودان ، لنتكلم عن جامع الزيتونة بتونس ، نجد فى طريقنا مصر ثم ليبيــا ، أما فى مصر فستكون بمشيئة الله مسك الختام بعد أن نرتاض بلاد الأندلس !

وأما ليبيا فــان أبرز ما فيها السنوسية ، والسنوسية حركة اصلاحية تهدف الى التمسك بأهداب تعاليم الدين ، وزعيمها هو السيد محمد بن على السنوسى الكبير الذى يتصل نسبه بالسيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول عليه الصلاة والسلام ، فهو حسيب نسيب عالم ورع محب للاصلاح ، ميال للأسفار والترحال . وقد ولد عليه رحمة الله بالجزائر عام ١٧٩١ م وانتقــــل الى فاس بالمغرب يطلب العــلم فيها مدة سبع سنوات كان خلالهــا مهتما بالصوفية وبتعاليمها . ثم سار الى قابس فى تونس ، والى طرابلس الغرب وبنى غازى ، ثم الى القاهرة أيام محمد على ، فأقام فى الأزهر مدة ، **وفى عام ١٨٤٣ أنشأ الزاوية البيضاء فى الجبل الأخضر ، فكانت هذه الزاوية مركز انتشار دعوته . فلما كان عام ١٨٥٦** انتقل الى واحة الجغبوب فى ليبيا ، **فأنشأ بها زاوية تعتبر المركــز الرئيسى للسنوسية ، ثم أنشأ بها مدرسة دينيــة كبيرة زودها بآلاف الكتب الدينية** ، فأقبل عليها الطلاب ينهلون من مواردها . وفى عام ١٨٥٩ توفى السيد السنوسى الكبير وخلفه ابنه الســيد المهدى ، **فبلغت الدعوة ذروة الانتشار فكان لها من الزوايا ١٤٦ زاوية فى برقة ، ومصر ، وبلاد العرب ، وايالة طرابلس ، وفزان ، والكفرة ، والسودان .**

ومن هذه الزوايا حـــارب السنوسيون الأتراك والايطاليين

بعد أن تطورت بما يتشبه المراكز للوحدة القبلية . فللقبيلة شيخها ، وهو شيخ الزاوية فى الوقت ذاته . وعليه تقع أعباء مسئولية الدفاع عن الزاوية . **ومن هنا صمدت الزوايا للاستعمار حتى اندحر عنها مخذولا ، ثم صارت من بعد ذلك دولة .**

ودولة ليبيا الآن على رأسها صاحب الجلالة محمد ادريس السنوسى ، الذى أخذ منذ أن استقلت بلاده فى عام ١٩٥١ فى بناء الدولة الجديدة ، بحيث يمكنها أن تساير ركب الحضارة والمدنية، فلذلك لا يألو جهدا فى ادخال ما من شأنه رفعة البلاد ، من نظم ادارية وعمرانية وثقافية وخلافها .

وفى ولايات ليبيا الثلاث : طرابلس ، وبرقة ، وفزان ، مساجد أثرية يرجع تاريخها الى أيام الفاطميين ، أشهرها مسجد الناقة بمدينة طرابلس الذى كان قد بنى بأمر المعز لدين الله الفاطمى .

وليبيا عريقة فى الاسلام ، شأنها فى ذلك شأن مصر تماما ، فقد افتتحها عمرو بن العاص بعد أن استتب له الأمر فى مصر ، وذلك سنة ٢١ الهجرية .

جامع الزيتونة

هو أقدم جامع فى تونس بعد جامع القيروان ، فقد تم بناؤه فى عام ١٤٠ هـ . وهو مسجد كبير يمتاز بالسعة ، وبأعمدته الرخامية ، وبمناراته العالية ، وبقبتيه الجميلتين ، وبمدخله الرائع حقا !

كان هذا الجامع ميمون الطالع ، ولا يزال ، فقد ابتدأت الدراسة فيه منذ انشائه ، اذ كان بتونس فى النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى ، كبار العلماء ، مثل على بن زياد ، وعبد الرحمن ابن أشرس ، ومن أتى بعدهم من علماء تونس . فكانت تدرس فيه علوم اسلامية كثيرة ، كتفسير القرآن الكريم ، وعلوم السنة ، وأصول الفقه ، والسيرة النبوية ، والنحو ، وعلوم الأدب . فأمه الطلاب والعلماء ، **وأصبح منارة العلم فى البلاد التونسية . وكانت طريقة التدريس فيه هى الطريقة التقليدية التى كانت تسود ذلك العصر ، فالأستاذ يجلس بجوار السارية ومن حوله الطلبة على شكل حلقة ، ثم يأخذ فى القاء الدرس والطلبة يستمعون اليه .**

وكان الطالب لا يلتحق بالتعليم بالجامع الا بعد أن يتم حفظ القرآن الكريم ، ويلم بمبادىء القراءة والكتابة . ويكون حافظا لبعض المتون فى الفقه والنحو ، فاذا انتظم فى سلك الدراسة يبتدىء بتجويد القرآن وبعلم العقائد والفقه والنحو ، ثم يدرس بعد ذلك علم المنطق ، وعلم المعانى والبيان والبديع وعلم العروض ومصطلح الحديث .

وبتقدم الزمن توضع لائحة خاصة بجامع الزيتونة ، تكون أشبه بلائحة المدارس المدنية . فالطالب يمتحن آخر العام لينقل

الى السنة التى تليها وهكذا، ثم يصبح التعليم بعد ذلك من درجتين، ابتدائى وثانوى .. فلما جاءت الحكومة الشعبية كان من جملة النظم التى أحدثتها أن فصلت التعليم الثانوى الزيتونى عن جامع الزيتونة ، وألحقته بادارة التعليم الثانوى الموحد ، مع احتفاظه بمميزاته ، وأطلق عليه اسم التعليم الزيتونى ، يدير معاهده مديرون من المدرسين الزيتونيين يعينهم وزير المعارف ، ويرجع نظرهم الى مدير التعليم الثانوى فى وزارة المعارف .

وتمحض جامع الزيتونة للقيام بمهمة التعليم العالى للعلوم الشرعية ، وعلوم اللغة العربية وآدابها ، وأعطيت الجامعة الزيتونية لقب « الجامعة » وأسندت أدارتها الى شيخ الجامع الذى لقب رسميا عميد الجامعة الزيتونية ، وصارت الجامعة مشتملة على كليتين : كلية للعلوم الشرعية ، وكلية لعلوم اللغة العربية » وللجامعة مكتبة عامرة بالمجلدات والمراجع فى شتى العلوم والمعارف .

ومن علمائها الفطاحل الأوائل : ابن خلدون ، وابن عرفة ، والتيجانى ، وأبى الحسن الشاذلى . **وهى بذلك تعتبر أقدم جامعة اسلامية كتب الله لها البقاء حتى الآن ! .**

الأندلس

أما الأندلس ، ومساجد الأندلس فأمرها عجب من العجب ، ذلك أن العرب لم يكتفوا بغزو بلاد الأسبان ، واخضاعها لامرتهم ثمانية قرون من الزمان فحسب ، بل غزوا أوربا كلها بأسلحة من نوع آخر !

فمنذ أن وطئت أقدام العرب أرض الأندلس ، أخذ ولاتها ينشئون المساجد ويتوسعون فى اقامتها لدرجة أن مدينة ((قرطبة)) وحدها كان بها سبعمائة مسجد !

وأن المسجد الجامع أو جامع قرطبة العتيد ، قد أنشىء على أبدع مثال للفن العربى الاسلامى الأصيل ، وكان واسعا جدا بحيث أن عدد أعمدته قد بلغت ١٢٩٠ عمودا ، وعدد أبوابه واحد وعشرون بابا ، صنعت من النحاس الأصفر اللامع ، فكان هذا الجامع دليلا ساطعا على ما كان يتمتع به عرب الأندلس من حضارة ورقى . ولقد جذبت حضارة العرب فى الأندلس أنظار أوربا كلها . فكتب التاريخ تروى لنا أن ملوك أوربا وذوى المكانة فيها ، كانوا يرسلون البعوث الى الأندلس لتلتحق بجامعات قرطبة وأشبيليه وغرناطة ، ولا أدل على هذا من ذلك الخطاب الذى أرسله ملك انجلترا الى الخليفة ملك المسلمين :

« من جورج الثانى ملك انكلترا والغال والسويد والنروج

الى الخليفة ملك المسلمين فى مملكة الأندلس ، صاحب العظمة هشام الثالث الجليل المقام

بعد التعظيم والتوقير ـ فقد سمعنا عن الرقى العظيم الذى تتمتع بفيضه الصافى ، معاهد العلم والصناعات فى بلادكم العامرة، فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج هذه الفضائل لتكون بداية حسنة فى

اقتفاء أثركم لنشر أنوار العلم فى بلادنا ، التى يحتاطها الجهل من اركانها الأربعة !.

وقد وضعنا ابنة شقيقتنا الأميرة « دوبانت » على رأس بعثة من بنات أشراف الانكليز ، لتتشرف بلثم أهــداب العرش والتماس العطف ، ولتكون مع زميلاتها موضع عناية عظمتكم وحماية الحاشية الكريمة ، وحدب من لدن اللواتى سيتوفرن على تعليمهن !

وقد أرفقت الأميرة الصغيرة ، بهدية متواضعة ، لمقامــكم الجليل ، أرجو التكرم بقبولها مع التعظيم والحب الخالص »

من خادمكم المطيع : جورج ٠م ١٠

فلا يسع الخليفة الا أن يشـــمل هذا البعث بعطفه الجليل ، وأن يأمر بأن تكون نفقات هذا البعث الملوكى على حساب بيت المال !

ولكن العصبية العمياء تتألب على عرب الأندلس ، فيزايلونها بعد حروب واضطهاد تشيب من هولهما الولدان !

وتمضى الأيام ، وتستيقظ أوربا من جهالتها ، فتعرف أن الأندلس وعربها ومسلميها هم أصحاب هذه اليقظة ، ويتمنى مفكروها من ذوى الآراء المتحررة أنه لو « شـــاءت الأقدار أن تتغلغل الحضارة العربية فى أوروبا حتى تشملها كلها ، لتغير وجه التاريخ ، ولكان للانسانية شأن غير هذا الشأن البربرى الذى تعيش فيه أوروبا الآن » ٠

ان مساجد الأندلس التى خرجت أمثال : ابن رشـــد ، وابن الصائغ ، والطبيب أبو العلا زهر ، وابن بسام وابن باجه ، وابن زيدون ، وغيرهم ــ لتعد مفخرة من مفاخر الاسلام وستظل باقية ما بقيت للعلم قداسته ، وللعلماء فضل الهداية والارشاد ٠ أولئك الذين وضعوا المشاعل على الطريق ، فاستضاء بنورها من استضاء، فاستفاد وأفاد ، ومن جانب الطريق تعثرت خطـاه ، وتروى فى مهاوى الجهالة ٠٠ ولن يضير الأندلس أن تصبح معالمها أثرا بعد عين ، فانها رفعت لنفسها قبل ذكرها ، والذكر عمر ثان !!

جامع عمرو

دخل الاسلام مصر سنة ٢٠ هـ على يد الصحابى الجليـــل ، عمرو بن العاص رضى الله عنه • وكان سيدنا عمرو فى أثناء حصاره لحصن بابليون « مصر القديمة » ضرب قبـــة الى جواره ، فسمى المسلمون هذه القبة « الفسطاط » • فلما تم له فتح الاسكندرية ، وقفل راجعا بجنده أمرهم أن ينزلوا عند الفسطاط ، وأن يختطوا دورهم حوله ، وبنى عمرو مكان الفسطاط مسجدا ، فكان أول مسجد بنى فى مصر ، ولا يزال باقيا يحمل اسمه الى الآن • وكانت مساحته وقت انشائه ٥٠ ذراعا × ٣٠ ذراعا ، يحيط به الطريق من كل جهة ، ثم زيدت مساحته فى السنوات ٥٣ ، ٧٩ ، ٩٣ هـ وزخرفت جدرانه ، وفرشت أرضه بالحصير ، وصار له منبـــرا وأبوابا أربعة • وفى سنة ٢١٢ هـ زيدت مســـاحته فكانت ١١٢ ذراعا × ١٢٠ ذراعا تقريبا ، ولم تضم اليه زيادات بعد ذلك •

وكان جامع عمر عندما أنشىء وقع عليه الاختيار ليكون هو المكان الذى تذاع فيه الأخبار الهامة التى تتعلق بالصالح العام !

وكان أول من جلس للتدريس فيه عالم السنة المبرور عبد الله ابن عمرو بن العاص ، حيث كان موفدا من قبل أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب ، ليقوم بتعليم الدين الاسلامى وبيان أحكامه وفضائله فى البلاد التى فتحها عمرو أبوه !

وبمرور الزمن تكاثرت حلقات الدرس ، فكانت نواة صالحة ، تبشر بمقدم جامعة اسلامية ، أو على الأقل ، كانت هــذه الحلقات ارهاصا بمولد مدرسة علمية اسلامية فى الديار المصرية •

فاذا ما كنا على رأس المائة الثالثة الهجرية ، ألفينا جامع عمرو

أشبه ما يكون بمجموعة من الخلايا العلمية ، وأن دراسة المذاهب الفقهية شقت طريقها اليه ، فهنالك للمالكية حلقات ، وللاحناف حلقات ، وللشافعية حلقات اذ كان قد حضر الى مصر الامام محمد ابن ادريس الشافعى فى سنة ١٩٠٩ هـ وأخذ يملى آراءه الجديدة . ومن ثم قال بعضهم ان له مذهبين ، أحدهما قديم والآخر جديد ، والواقع ان المذهب واحد وان اختلفت الآراء . ولعل الشافعى رضي الله عنه أراد أن يزيل هذا اللبس فكان يقول : كتابى الجديد ، وكتابى القديم ، فى مقام الشرح والتوضيح .

والذى لا شك فيه أن جامع عمرو ، كان منذ القرن الثالث الهجرى محجة العلماء والطلاب ومجتمعهم ، وذلك بفضل السياسة الحكيمة التى اختطها عمرو لنفسه منذ أن هداه الله لفتح مصر ، فكان فتحه لها فى الواقع فتحا للقلوب لا فتحا للديار ، ومن ثم اعتنق كثير من المصريين الدين الاسلامى أن لم يكن معظمهم . عن رغبة ومحبة ، حتى اذا ما جاءت « سنة ٧٤٩ هـ بلغت حلقات التدريس ((بجامعة عمرو)) بضعا وأربعين حلقة لا تكاد تنفض منه ، ولم تنقطع أخبار التدريس فيه الا فى القرن التاسع الهجرى)) .

ويقول ابن دقماق « لما كان هذا المسجد أقدم مساجد مصر ، أطلق عليه المسجد العتيق ، وتاج الجوامع ، والمسجد الجامع » ! ونحن نطلق عليه « جامعة عمرو الاسلامية بمصر » ! .

جامع احمد بن طولون

ويعتبر هذا الجامع من أكبر المساجد الجامعة ، فمساحته مع ملحقاته ستة أفدنة ونصف فدان ، وعدد أبوابه واحد وعشرون بابا ، غير أبواب ملحقاته الكثيرة . وقد فرغ ابن طولون من بنائه سنة ٢٦٥ هـ .

ومنذ أن أنشىء الجامع ، وحلقات التدريس تعقد حول سواريه، وفى زواياه العديدة ، وكان يدرس به الفقه على المذاهب الأربعة ، وكذلك علوم التفسير ، وعلوم الحديث ، وعلوم اللغة العربية . أما الطب فكان له فيه نصيب ، فكان الطبيب عمر بن منصور ، البهادرى يتولى تدريس الطب فى هذا الجامع .

وكان هذا الجامع ، وجامعة عمرو بن العاص ، هما معقل أهل السنة أيام الفاطميين أولئك الذين أدخلوا فقه الشيعة ودعوتها فى الجامع الأزهر ، الا أن ذلك لم يلبث أن تقلص ظلهما بمجرد سقوط الدولة الفاطمية ، وقيام الدولة الأيوبية على أثرها التى ناصرت السنة فأنشأت مدارس خاصة بها .

والواقع أن الدعوة الشيعية ، شملت كافة الأمور الحربيـــة والدينية والمدنية ، وصارت الأحكام تصدر وفق المذهب الاسماعيلى .

أصحاب المذاهب الأربعة

بما أن البحث قد تعرض لذكر المذاهب الأربعة ، ولم يكن لنا مفر من ذلك ، أحببت أن أقدم بين يديك الـمـامة مبسطة عن حياة أصحاب هذه المذاهب ، وهم الأئمة :

الامام مالك

هو أبو عبد الله مالك بن أنس ، امام دار الهجرة ، وسيد فقهاء الحجاز • وهو عربى من سلالة أقيال حمير ، ولد فى سنة ٩٥ هـ بالمدينة المنورة « فنشأ بها وأدرك خيار التابعين من الفقهاء والعباد. ورحل اليهم وأخذ عنهم ، وما زال يدأب فى التحصيل وجمع السنة، حتى صار حجة من حجج الله فى أرضه • وضرب به المثل فقيل ((لا يفتى ومالك بالمدينة)) وعرف الخلفاء قدره ، وحملوا اليه بذرهم • وسعى به الى عامل المنصور بالمدينة ، فجرده وضربه سبعين سوطا ! • ولما بلغ ذلك المنصور غضب على عامله وعزله وأقدمه الى بغداد على قتيب • ولقى المنصور مالكا من قابل فى موسم الحج ، فاعتذر اليه واستسمحه وفاتحه فى كثير من مسائل الدين ، وطلب منه أن يجمع ما ثبت لديه ويدونه فى كتاب ، ويوطئه للناس ، فاعتذر فلم يقبل منه عذرا ، فألف كتابه « الموطأ » فى الحديث والفقه ، فجاء المنصور من قابل حاجا فسمعه منه ، وأمر له بخمسة آلاف دينار وألف لتلاميذه ، ولم يلبث ان مات المنصور • وزاحم فقه العراق فقهه ، ولكن ذلك لم يمنع الرشيد أن يرحل هو وأولاده اليه بالحجاز ليسمع موطأه ، فسمعه وأغدق عليه •

وكان مالك أول أمره فقيرا ، فلما كثرت منح الخلفاء له ، حسن حاله ، فأظهر نعمة الله عليه ، ووصل أهل العلم وأشركهم فى ماله ، ومنهم الشافعى •

أما أخلاقه ، من الكرم ، والطلاقة ، والوقار ، والنبل ، والتواضع ، والحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانها تجل عن الوصف ، حتى أنه كان لا يركب دابة فى المدينة اجلالا لأرض ضمت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم •

وتوفى رضى الله عنه سنة ١٧٩ هـ بالمدينة ، ودفن بالبقيع •

رضى الله عنه ، وجعل جنة الخلد مثواه •

الامام أبو حنيفة

هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت ، أصل آبائه من بلاد الفرس ، ولكن والده تنقل فى بلدان مختلفة ، حتى هبط مدينـــة الكوفة ، واستقر بها .

ولما كبر أبو حنيفة اشتغل بتجارة الخز ، واتخذ فى الـــكوفة متجرا وشركاء . وقد أبان مسلكه فى التجارة عن ذكاء متقـــد وعقل كبير وخلق كريم .

وكان بالكوفة امام من أئمة الدين يسمى « عــامر الشعبى » تفرس النبوغ فى أبى حنيفة ، فنصح له بدراسة العلم وحضور مجالسه ، فاستجاب لنصيحته ، وترك المتجر لشركائه يشرفون عليه ، وانقطع الى حلقات العلماء ولازمهم ، فرأوا فيه ما أدهشهم ، وظل يحضر مجالسهم حتى حظى بكثير مما عندهم ، فرحل الى البصرة ليجادل أهل المذاهب والفنون الكلامية فبزهم ، الا أنه لما سئل عن بعض المذاهب الفقهية لم يوفق للصواب ، فرجع الى الكوفة ولازم كبير الفقهاء « حماد بن سليمان » مدة قيل انها ثمانى عشرة سنة .

وأضحى من أكبر الاعلام فىالعلوم الشرعية والعربية ، وأراد أن يتبحر فى بعض تلك العلوم ، فلم يجد خيرا من الفقه ، فانقطع له ، لأنه « **العلم الذى لا يستقيم أمر الدنيا والآخرة الا به** » كما كان يقول .

فلما مات حماد أجمع الكوفيون على اختيار أبى حنيفة خلفا له، وكانوا يرجعون اليه فى مســائل الفقه ومشــكلاته ، فرأوا فيــه النبوغ . وجاوزت شهرته الكوفة الى غيرها حتى صار ملء السمع والبصر .

وكان ذو فضل وعلم غزيرين ، وشدة ورع وزهد فى المناصب ، وكان يقوم الليل كله فى الطاعة والعبادة حتى قيل انه : صـــلى

الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة ! وعاش طول حياته من ربح تجارته لا يحيد عن ذلك أبدا .

يقول الامام مالك عندما سئل : هل رأيت أبا حنيفة ؟ « نعم رأيته ، ولم أر مثله ، ولو كلمك فى هذه السارية انها ذهب لأقام الحجة ! ولقد وفق له الفقه حتى ما عليه فيه كثير مؤنة » .

وقال الشافعى : « الناس فى الفقه عيال على أبى حنيفة »

ومع ذلك لم يسلم من الأذى ، فقد جرت له خطوب كثيرة تضمنتها سيرته العطرة ، فشتم وضرب وأهين وعذب ، وقيل انه مات من أثر التعذيب ، وقيل ان الخليفـــة بعث من دس له السم فمات .

ومذهب أبى حنيفة أشهر المذاهب الأربعـــة التى يجـــرى المسلمون على أحكامها . ومن أشهر تلاميذه الذين خدموا مذهبه ، وعملوا على نشره : أبو يوسف قاضى القضاة فى زمن المهدى والهادى والرشيد ، ومحمد بن الحسن الشـــيبانى ، صـــاحب التآليف الكثيرة التى نشر بها علم أستاذه . .

ومات الامام الأعظم بالكوفة ودفن بها سنة ١٥٠ هـ وله من العمر سبعين عاما .

رضى الله عن أبى حنيفة وأرضاه كفاء ما قدم للعلم والدين من أياد بيضاء ، ومن صوالح الأعمال !

الامـــام الشافعى (١٥٠ – ٢٠٤ هـ)

ولد محمد بن ادريس الشافعى سنة ١٥٠ هـ بحى اليمن بغزة ، وقد مات أبوه ، وهو صغير فى المهـد ، فاعتنت أمـــه بتربيته ، فأشخصته الى مكة وهو ابن عشر سنين ، فأخذ يتثقف بثقـــافة أهلها التى بها أصلا عائلته وأهله ، وهو بذلك يكون من مكة ، وأن نسبه ينتهى الى المطلب بن عبد مناف ، ويلتقى مع النبى صلى الله عليه وسلم فى عبد مناف . وبنو عبد المطلب وبنو هاشم كانوا

على مودة فى الجاهلية والاسلام ، ومن ثم أخذ يتجه بتوجيه أمه ، وأقربائه من قريش ، الى حفظ القرآن الكريم ، وجمع الحديث وروايته • وكانت مكة هى مدرسة عبد الله بن عباس التى ترك فيها تلاميذه ، وكان بها عدد من كبار رواة الحديث منهم سفيان ابن عيينه ، ومسلم بن خالد الزنجى ، وغيرهم كثير . وقد تلقى عليهم الشافعى كثيرا حتى بلغ مبلغ الافتاء وهو فى سن العشرين •

وكان وهو يشدو فى طلب الفقه والحديث وعلوم القرآن ، يعمل على أن يتفصح لسانه العربى ، فلزم قبيلة هذيل بالبادية التى كانت أفصح العرب لسانا ، فأخذ يرحل برحيلهم وينزل بنزولهم ، ويحفظ أشعارهم ، ولذلك لما قدم على مالك فى المدينة ، وأخذ يقرأ عليه الموطأ فى أول مقدمه ، كانت قراءته وحسن أدائه يعجبانه ، ويقول فى ذلك الشافعى « وابتدأت أقرأ والكتاب فى يدى ، فلما تهيبت مالكا ، وأردت أن أقطع ، أعجبه حسن قراءتى ، واعرابى ، فيقول : « يا فتى زد » حتى قرأته عليه فى أيام يسيرة » •

وقد عاش الشافعى مع مالك تسع سنوات تلقى عليه فقه المدينة ، وكان من وقت لآخر يذهب الى مكة يزور أمه ويستنصح بنصائحها • ولما مات مالك سنة ١٧٩ هـ عاد الشافعى الى مكة ، ثم اتجه الى اليمن وتولى عملا بنجران ، فنشر لواء العدل بها ، ولكن هذا لم يرض واليها الظالم ، فوشى به عند الرشيد ، فأقدمه عليه ، ووجه اليه تهمة الدعاية للعلويين ، فدفع الشافعى عن نفسه هذه التهمة ، الا أن الرشيد اذ لم يقتنع تماما ببراءته ، أمر محمد بن الحسن الشيبانى تلميذ أبى حنيفة بأن يحتجزه عنده • وأقام الشافعى بالكوفة فى ضيافة الامام محمد بن الحسن مدة يأخذ عنه علم أبى حنيفة ويقيد ما نقل ، ويقول فى ذلك الشافعى : « **حملت عن محمد بن الحسن وقر بعير ليس فيه الا سماعى منه** » ثم عاد الى مكة وعنده بذلك فقه العراق ، وفقه المدينة ، وفقه

مكة . فأخذ يفكر فى وضع مناهج مذهبه فألف فى ذلك كتبا كثيرة ، فاذا كانت سنة ١٩٥ هـ رحل الى بغداد وأخذ يملى هذه الكتب على تلاميذه ، فدونوا الرسالة ، وكتاب الأم ، وكتاب جماع العلم ، وكتاب أبطال الاستحسان . وقد مكث ببغداد فى هذه القدمة نحو سنتين اطمأن فيهما الى نشر آرائه ومناهجه بين الملأ من الفقهاء ثم عاد الى مكة ، ولعله ذهب اليها حاجا ، أو لانهاء بعض شئونه بها . ثم عاد الى بغداد ثانية سنة ١٩٨ هـ ، وكان طبيعيا أن يلتقى بالامام أحمد بن حنبل فى المرتين ، **ثم نزح من بغـــداد الى مصر فنزلها فى أول سنة ١٩٩ هـ ، وأقام بالفسطاط ، وأخذ يلقى دروسه فى جامع عمرو بن العاص متضمنة آراءه الجديدة .**

وكان الشافعى قوى المدارك ، حاضر البديهة ، نافذ البصيرة ، قوى الفراسة ، قوى البيان ، واضح التعبير ، مخلصـــا فى طلب الحقائق ، بعيدا عن الزهو والخيلاء .

وقد قضى نحبه رحمه الله فى جهاده العلمى سنة ٢٠٤ هـ ودفن بالقاهرة .

رضى الله عنه ، ونفع الناس بعلمه وخلقه واخلاصه وقـــوة دينـــه .

الامام أحمد بن حنبل (— ٢٤١ م)

هو أبو عبد الله احمد بن محمد بن حنبل الشيبانى ، خرجت أمه من « مرو » حاملا به ، فولدته فى بغداد سنة ١٦٤ هـ وكان امام المحدثين فى وقته ، وحسبه أنه جمع فى مسنده من الحديث ما لم يتفق لغيره ، وكان من أصحاب الامام الشافعى وخواصه ، ولم يزل مصاحبه الى أن ارتحل الشافعى الى مصر ، وقد قال فى حقه : « **خرجت من بغداد وما خلفت بها أتقى ولا أفقه من ابن حنبـــل .** وحدث أنه دعى الى القول بخلق القرآن فلم يجب ، فضرب وحبس

وهو مصر على الامتناع ، وكان ذلك أيام المعتصم فى العشر الأخير من رمضان سنة ٢٢٠ هـ .

وقد أخذ عنه الحديث جماعة من الأماثل منهم محمد بن اسماعيل البخارى ، وكان الامام أحمد حسن الوجه ، ربعة ، يخضب بالحناء خضبا ، ليس بالقانى ، فى لحيته شعيرات سود .

وقد توفى الامام أحمد بن حنبل ضحوة يوم الجمعة ١٢ من ربيع الأول سنة ٢٤١ هـ فمشى فى جنازته من لا يحصون ، ودفن بمقبرة باب حرب ببغداد . وقد ترك نجلين عالمين ، هما صالح ، قاضى أصبهان (٢٠٣ ـ ٢٦٦ هـ) وعبد الله ، الذى كان يكنى به (٢١٣ ـ ٢٩٠ هـ) .

ومسند الامام احمد بن حنبل ، كتاب جليل من جملة أصول السنة ، يشتمل على أربعين الف حديث . تكرر منها عشرة آلاف . ومن أحاديثه ما ينيف على ثلثمائة حديث ثلاثية الاسناد « أى بين راويها والرسول ثلاثة رواة فقط » !

رضى الله عنه وأرضاه ، وأنزله منازل الشهداء والصديقين .

الجامع الأزهر

هو أول جامع أسس بالقاهرة المعزية ، أنشأه جوهر الصقلى ، قائد الخليفة الفاطمى المعز لدين الله • وقد شرع فى بنـــائه يوم السبت لست بقين من شهر جمادى الأولى سنة ٣٥٩ هـ ، وكمـل بناؤه لسبع خلون من شهر رمضان سنة ٣٦١ هـ ، وبذا يكون قد مضى عليه أكثر من ألف سنة هجرية •

وهو حين انشائه كانت الدولة الفاطمـــية قد حكمت مصر ، واتخذت القاهرة عاصمة لها ، وأنشأت الجامع الأزهر ليكون رمزا لسيادتها الروحية ، ومنبرا للدعوة التى حملتها هذه الدولة الى مصر ، ولذلك كان موضع عناية الخلفاء الفاطميين فى مصر ومن جاء بعدهم من الملوك والأمراء والوزراء وذوى الجاه ، يتعهـــدون أهله ، ويشرفون على حلقـــات الدروس فيه ، وينشئون الأروقة لسكنى الطلبة ، ويشيدون دور الكتب فى علوم الدين والحـــكمة والفلسفة ، مما كان له الأثر القوى فى شحذ همم الشيوخ والطلبة الى التفرغ للتعلم والتعليم •

وقد زاد فى اتساعه كثيرون من الأمراء ، حتى اذا ما جاء عام ١١٦٧ هـ كانت مساحته ١١٣٨٠ مترا مربعا من غير ملحقاته !

وبالأزهر الآن خمس منارات ، منها ثلاث منارات من داخل باب المزينيين مشرفة على صحن الجامع ، والرابعة بباب الصعايدة، والخامسة بباب الشربة •

على أن الأمراء الذين كانوا يبذلون الأموال فى تشـــييد هذا الجامع ، كانوا لا يبغون بذلك سوى وجه الله • فقد ذكر المؤرخون، أن الأمير طيبرس ، لما فرغ من بناء المدرسة الطيبرسية الملحقـــة

بالجامع ، أحضروا اليه حساب نفقاتها ، استدعى بطست مملوءة بالماء . وغسل أوراق الحساب بأسرها من غير أن يقف على شيء منها ، وقال : شيء خرجنا عنه لله لا نحاسب عليه !

وما زال الجامع الأزهر يحتل الموقع الذى أقيم فيه منذ ألف عام ، وما زالت بقية من أبنية الفاطمية الأولى تحتل مكانها الأول داخل الصرح القائم ، وهى تكاد تبلغ نصف المسجد الحالى .

ومقصورة الأزهر ، تنقسم الى قسمين ، المقصورة الأصلية الكبيرة التى هى من انشاء القائد جوهر وبها ٧٦ عمودا من الرخام الأبيض الجيد على صفوف متساوية . والمقصورة الجديدة التى أحدثها الأمير عبد الرحمن كتخداى سنة ١١٦٧ هـ وبها خمسون عمودا من الرخام . فمجموع أعمدة المقصورتين ١٢٦ عمودا ، واذا أضيف الى هذا العدد ما بملحقات الجامع من الأعمدة بلغ عددها كلها ٣٧٥ عمودا . وأرض المقصورة الجديدة مرتفعة عن أرض المقصورة القديمة بنحو نصف ذراع بحيث يصعد من القديمة للحديثة بدرجتين .

والأزهر هو الجامعة الاسلامية الكبرى التى عالجت علوم الدين فيسرت سبلها ، وأكثرت من كتبها ، واهتمت بشئون اللغة العربية ، فحفظتها من الضياع ، وبقيت على مدى الأجيال لا تجد الحياة الا فى الأزهر ، ومن ثم حافظ الأزهر على حياتها فظلت باقية حتى اليوم .

ولقد ظل الأزهر طوال الأجيال المتعاقبة من السنين أكبر جامعة اسلامية فى الشرق ، بل فى العالم كله . والتاريخ يعرف دور الأزهر الخطير الذى لعبه خلال تلك القرون فى سياسة العالم الاسلامى !

وكان أول ما درس فيه الفقه الفاطمى على مذهب الشيعة وظل هكذا الى أن انقرضت الدولة الفاطمية !

ولما أن جاء الأيوبيون ، وحكم مصر صلاح الدين (٥٦٧ هـ)

استحدث مدارس ، ورتب بها العلماء والطلبة . وسار خلفاؤه على منواله ، فبلغت خمسا وعشرين مدرسة ، يدرس فيها علوم الدين واللغة ، وفقه المذاهب الأربعة ، وبذلك ازدهرت حركة التعليم بتلك المدارس ، وانه وان كان التعليم ظل بالأزهر الا أنه كان ضئيلا جدا • وتلك كانت محنة الأزهر الأولى !

فلما أن جاء الظاهر بيبرس ٦٥٨ هـ) أعاد الى الأزهر حياته وازدهاره ، فدخل فى عهد جديد من التقدم والرقى ، وصار الطلاب يهرعون اليه من كل أرجاء العالم الاسلامى ، وظل طوال العصور الوسطى قائما بوظيفته خير قيام ، فنمت الحياة العلمية فى مصر والعالم الاسلامى وأصبح معقلا للشريعة واللغة العربية . فحينئذ كانت بغداد فى أتون التتار ، يحرقون كتبها ويقتلون الخليفة !

فاذا ما جثم الحكم العثمانى على صدر البلاد والعباد ، فقدت مصر حركتها ونشاطها ، وضعفت بذلك حضارتها وعلومها وفنونها ، واستولى على الأزهر الخمول وعمه الجمود بسبب ما ألحقه العثمانيون من اضطراب فى البلاد ،واضطهاد للعلماء الأحرار وتنكيل بالمفكرين والقادة ، كان الأزهر ولا شك يعانى آلام محنته الثانية !

فاذا ما قدم عهد محمد على ، أخذ الأزهر يستعيد مكانته شيئا فشيئا ، بعد أن هيأ شيوخه الرأى العام لقبول ولاية محمد على ، فنزل الشعب على رأى شيوخه ، وبذلك ظهرت قيادة الأزهر ، وعندما أرسلت البعوث الى أوربا كان الأزهر ممثلا فى تلك البعوث من أمثال رفاعة الطهطاوى ، وابراهيم النبراوى ، وأحمد حسن الرشيدى ، ومحمد على البقلى ، وغيرهم ممن كان لهم شأن يذكر فى تاريخ النهضة العلمية بالبلاد •

وكان للأزهر دور قيادى فى حياة البلاد السياسية ، **وفى الأحداث التى ألمت بكنانة الله فى أرضه** ، فجاهد أبناؤه ذلك الغزو الفرنسى القديم الذى حدث أيام حكم الصالح أيوب ، فانه عندما

استنفر الناس لمجاهدة هذا الغزو ، أرسل كتابا تلى بعد صلاة الجمعة من فوق منبر الأزهر ، وكأنه بذلك يأخذ الموافقة الضمنية من رجال الشرع والدين على مقاتلة العدو ، وأن سماع الناس لكتابه فى الأزهر يمنحه القوة الروحية التى تحفز الهمم ، وأن الدنيا والدين قد أجمعا على محاربة الغزاة ، فلا يتخلف بعد ذلك متخلف ولا يقعد قاعد !

أما الغزو الفرنسى البونابرتى فلم يستطع أن يقف على قدميه إلا بواسطة ذلك الديوان الذى أختير أعضاؤه من المشايخ العشرة فلما ساءت سيرة الفرنسيين فى البلاد ، وبانت نواياهم الاستعمارية، تخلى هؤلاء العشرة عن وظائفهم وانفصلوا من حول القائد الفرنسى فكان ذلك إيذانا بانتهاء أمر الفرنسيين فى مصر ، فوقعت الحوادث، وأغتيل « كليبر » على ما هو معروف !

والأزهر هو الذى ثار فى وجه الاحتلال البريطانى ثورة ايجابية ، كانت ذات أثر فعال فى التفكير الجدى ، نحو تمتع البلاد بالاستقلال ، ولولا أساليب السياسة الملتوية لكان قد تقلص ظل الاستعمار منذ سنة ١٩١٩ م ٠

والواقع أن دور الأزهر فى الحركات الوطنية التقدمية يحتاج الى بحث مستقل ، شأنه فى ذلك شأن القائد فى المعركة حيث يؤرخ الناس بتاريخه !

ونعود الى ما كان يدرس بالأزهر من مواد أيام الفاطميين حيث كان الفقه الفاطمى على مذهب الشيعة ٠ فنجد أن ما يدرس فى هذه الفترة من كتب الشيعة ، كتاب دعائم الاسلام ، واختلاف الأصول ، وكتاب الأخبار ، وكتاب اختلاف الفقهاء ، والرسالة الوزيرية للوزير يعقوب بن كلس ٠

وكان من علماء هذه الفترة المشهورين : المؤرخ الحسن ابن زولاق ، والمسبحى ، وأبو عبد الله القضاعى ، والحوفى النحوى،

وابن بانساذ النحوى أيضا • وغيرهم ممن صـــنفوا فى فنونهم ، واعتبرت هذه المصنفات مراجع يحتج بها •

وكان الأزهر زمن الفاطميين معين الثقافة الدينية ، الا أنه كان بعيدا عن الحياة السياسية • أما فى زمن الأيوبيين ، فقد انتقلت الدراسة الى المدارس التى أنشأها صلاح الدين وخلفاؤه ، وفى زمن الظاهر بيبرس البندقدارى ، دخلت المذاهب الأربعة الازهر ، وتصدر لدراستها علماء أعلام يفتخر بهم اليوم العـــالم الاسلامى أجمع • أمثال : الامام عز الدين بن عبد السلام ، والامام السبكى وأبنائه ، والشهاب القرافى ، وابن هشام ، والسراج البلقينى ، وجلال الدين السيوطى •

ومن العلماء الذين رحلوا من أقاصى الدنيـــا للتعلم فى الأزهـــر والتعليم فيه ثم أصبحوا أئمة • هؤلاء : ابراهيم بن عيسى القدسى ، وعز الدين عمر بن عبد الله عمر الفاسى ، والامام الأصـــبهانى ، والامام الزيلعى • وابن الحاج محمد العبدرى الفاسى ، وأبى حيان محمد بن يوسف الغرناطى ، وتاج الدين التبريزى ، والحافظ العراقى ، والحـــافظ بن حجر العسقلانى ، وعلاء الدين الحموى ، والرضى الشاطبى ، ومحمد بن محمد البغدادى ، وشيخ الاســــلام زكريا الأنصارى ، وقاسم بن محمد التونسى • وغيرهم

فلما أن جاء القرن التاسع الهجرى ، وفقدت مصر استقلالها (٩٢٢ هـ) أصاب الأزهـــر الذبول والركود ، وانصرف كثير من العلماء عن العلوم العقلية والرياضية والفلســـفية والجغرافية ، وذلك عندما قيل انها محرمة ، فهجرها الأزهريون ، **الى أن أفتى الشيخ الانبابى شيخ الأزهر وقتئذ ، والشيخ محمد محمد البنا المفتى ، بجواز تعلمها ، وبعدم حرمة تدريسها ، أقبل الأزهريون عليها من جديد** • على أن هذا لم يمنع أن ينبغ فى تلك العلـــوم الشيخ « أحمد عبد المنعم الدمنهورى » شيخ **الأزهر** المتـــوفى سنة ١١٩٢ هـ • فقد جاء فى سند اجازته ما ملخصه : انه تلقى فى

الأزهر العلوم الآتية ، وله تآليف فى كثير منها ، وهى : الحساب ، والميقات ، والجبر ، والمنحرفات ، وأسباب الأمراض وعلامتها ، وعلم الاسطرلاب والزيج ، والهندسة ، والهيئة ، وعلم الأرتماطيقى، وعلم المزاول ، وعلم الأعمال الرصدية ، وعلم المداليد الثلاثة ، وعلم الحيوان والنبات والمعادن ، وعلم استنباط المياه ، وعلاج البواسير ، وعلم التشريح ، وعلاج لسع العقرب ، وتاريخ العرب والعجم !!

وفى سنة ١٢٨٢ هـ كانت تدرس فى الأزهر المواد الآتية بصفة رسمية :

الفقه ، الأصول ، التفسير ، الحديث ، التوحيد ، النحو ، الصرف ، المعانى والبيان والبديع ، متن اللغة ، العروض والقافية ، الحكمة الفلسفية ، التصوف ، المنطق ، الحساب ، الجبر والمقابلة ، الفلك والهيئة ، الهندسة ، **التاريخ ، وأخيرا** الموسيقى .

شيوخ الأزهر

وصار للأزهر شيخا فى أواخر القرن الحادى عشر الهجرى . يديره . وينظم شئونه ، وهؤلاء الشيوخ على الترتيب : الشيخ محمد الخرشى ، الشيخ محمد النشرتى ، الشيخ عبد البافى القلينى ، الشيخ محمد شنن ، الشيخ ابراهيم بن موسى الفيومى ، الشيخ عبد الله الشبراوى ، الشيخ محمد سالم الحفنى ، الشيخ عبد الرءوف السجينى ، الشيخ أحمد بن عبد الرحمن بن يوسف الدمنهورى ، الشيخ أحمد العروسى ، الشيخ عبد الله الشرقاوى ، الشيخ محمد الشنوانى ، الشيخ محمد بن الشيخ أحمد العروسى، الشيخ أحمد بن على بن أحمد الدمهوجى ، الشيخ حسن بن محمد العطار ، الشيخ القويسنى ، الشيخ أحمد بن الشيخ عبد الجواد ،

الشيخ ابراهيم البيجورى ، الشـيخ مصطفى العروسى ، الشـيخ محمد المهدى العبـاسى ، الشيخ شمس الدين محمـد الانبابى . الشيخ حسونة النواوى ، الشيخ عبد الرحمن القطب النواوى ، الشيخ سليم البشرى ، الشيخ على الببلاوى ، الشيخ عبد الرحمن الشربينى ، الشيخ حسونة النواوى (مرة أخرى) ، الشيخ سليم البشرى (مرة ثانية) ، الشيخ محمد أبو الفضل ، الشيخ محمـد مصطفى المراغى ، الشيخ محمد الأحمـدى الظواهرى ، الشيخ محمد مصطفى المراغى (مرة ثانية) ، الشيخ مصطفى عبد الرازق، الشيخ محمد مأمون الشناوى ، الشيخ عبد المجيد سليم ، الشيخ محمد الخضر حسين ، الشيخ عبد الرحمن تاج ، الشيخ محمود شلتوت .

أشهر رجال الأزهـر

ومن أشهر علماء الأزهـر الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، والشيخ عبد الكريم سليمان ، والشيخ أحمد أبو خطوة ، والشيخ حسن الطويل ، والشيخ هرون عبد الرازق ، والشيخ البيجرمى ، والشيخ محمد بخيت المطيعى ، والشيخ ابراهيـم الظـواهرى ، والشيخ محمد راضى الكبير ، والشيخان عبد الرحمن ومحمدراضى البحراوى ، والشيخ محمد حسنين العدوى ، والشيخ عبد الغنى محمود ، والشيخ السمالوطى ، والشيخ محمد الحلبى ، والشيخ أحمد نصر ، والشيخ محمد شاكر ، والشيخ دسوقى العربى ، والشيخ عبد الرحمن قراعة ، والشيخ يوسف الدجوى ، والشيخ عبد الحكم عطا ، والشيخ سيد على المرصفى . وغيرهم .

ومن شخصياته البارزة فى تاريخ البـلاد : سـعد زغلول ، ابراهيم الهلباوى، محمد الحسينى المحامى ، حسن جلال المستشار، عبد الله نديم ، السيد على يوسف ، محمد النجار ، السيد مصطفى لطفى المنفلوطى ، عبد اللطيف الصوفانى . وغيرهم كثير .

نظام الدراسة فى الأزهر

كانت الدراسة تسير على نظام سهل • كان الطالب يدخل الأزهر مختارا بلا قيد ولا شرط ، ويختلف الى من أراد من العلماء، ويبقى فيه ما شاء أن يقيم ، فاذا آنس من نفسه علما كافيا ، استأذن أساتذته ، وجلس للتدريس حيث يجد مكانا خاليا ، وعرض نفسه على الطلبة ، فاذا لم يجدوا فيه الكفاية انصرفوا من حوله ، واذا وجدوه على علم وتقوا به واستمروا على تلقى العلم عنه وحينئذ يجيزه شيخ الأزهر اجازة •

وكان أساس الدراسة المناقشة والحوار بين الطلبة وأساتذتهم بما ينمى فيهم ملكة الفهم •

واستمر الحال على ذلك مدة ، الى أن اقتضى الأمر بوضع قوانين للأزهر وطلبته وعلمائه وادارته والدراسة فيه •

الأزهر فى ظل القوانين

أول قانون وضع للأزهر ، كان فى عهد الخديوى اسماعيل سنة ١٨٨٢ م فى مشيخة الشيخ محمد المهدى العباسى • وقد نظم هذا القانون طريقة نيل شهادة العالمية ، وبين مواد امتحانها ، وقسم الناجحين فيها الى ثلاث درجات « أولى ، وثانية ، وثالثة » والمواد التى بينها ذلك القانون مجموعها أحد عشر علما ، ولذلك كان يسمى به ، ولكن هذا القانون لم ينل قبولا •

وكان الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده رحمة الله عليه أول الثائرين على هذا القانون ، فأضيفت مواد جديدة على المواد القديمة ، هى هذه المواد : الأخلاق ، ومصطلح الحديث ، والحساب ، والجبر ، والعروض والقافية ، والتاريخ الاسلامى ، ومتن اللغة ، والانشاء ، ومبادىء الهندسة ، وتقويم البلدان • أى أنه أضيفت مواد تربى فى عددها على المواد القديمة • وبذلك نهض الأزهر نهضة

مباركة ، حتى كانت سنة ١٩٠٥ توفى الاستاذ الامــام الشــيخ محمد عبده ،فانهارت النهضة ورجع الأزهر القهقرى !

ووضع القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١ م فكان ابرز ما فيه أن جعل الدراسة مراحل ، وجعل لكل مرحلة نظاما وعلوما ، وزاد فى مواد الدراسة ، وحدد اختصاص شيخ الأزهر ، وأنشأ هيئــــه تشرف عليه تسمى مجلس الأزهر الأعلى ، وأوجد هيئة كبار العلماء، وجعل للمعاهد مجالس ادارة ، وللموظفين نظاما فى التعيين والترقية والتأديب ، وللطلاب شروطا فى القبـــول وحـــدودا للعقـوبات والمسامحات ، ونظم الامتحانات والشهادات ٠

وسار الأزهر على هذا النظام عشر سنوات ، الى أن أنشأت الحكومة مدرسة القضاء الشرعى ومدرسة دار العلوم ، ثم فكروا فى اعادة تنظيم الأزهر على مثال مدرسة القضـــاء ، ومدرســة دار العلوم ، فكان أن صدر القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٠ وأظهــر ما فيه أنه قسم التعليم العالى الى ثلاث كليات ، واحدة لعلــــوم أصول الدين ، وثانية لعلوم الشريعة ، وثالثة لعلوم اللغة العربية، وأوجـــد تخصصا سمى تخصص المادة ، وآخـــر سمى تخصص التدريس ٠

ويعد هذا القانون أول خطوة رسمية فى تمكين الجامع الأزهر من مسايرة التقدم العلمى ، الا أنه فى سنة ١٩٣٣ صدر القانون رقم ٣٧ ورئى ادماج القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٠ فى هذا القانون٠ ثم صدر القانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦ وقد روعى فيه تلافى العيوب التى ظهرت عند تطبيق القوانين سالفة الذكر ٠

ولكن الثورة المباركة رأت أن رســـالة الأزهــر فى القطاعين الداخلى والخارجى لا تساير احتياجات ولا مقتضيات التطـــور الثقافى فى العصر الحاضر ، فأصدرت القانون الأخير ، وقد وافق عليه مجلس الأمة بتاريخ ٢٢ من يونية سنة ١٩٦١ وهو مكون من (١٠١) مادة ٠ وقد جاء فى المادة الأولى منه « تستبدل النصوص

المرافقة بأحكام القانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦ باعادة تنظيم الجامع الأزهر ، والقوانين المعدلة له ، ويبطل كل ما يخالف ذلك من القوانين » .

وجاء فى المادة ٢ ـ الأزهر هو الهيئة العلمية الاسلامية الكبرى التى تقوم على حفظ التراث الاسلامى ودراسته وتجليته ونشره، وتحمل أمانة الرسالة الاسلامية الى كل الشعوب ، وتعمل على اظهار حقيقة الاسلام وأثره فى تقدم البشر ورقى الحضارة وكفالة الأمن والطمأنينة وراحة النفس لكل الناس فى الدنيا وفى الآخرة . كما تهتم ببعث الحضارة العربية والتراث العلمى والفكرى للأمة العربية ، واظهار أثر العرب فى تطور الانسانية وتقدمها ، وتعمل على رقى الآداب وتقدم العلوم والفنون وخدمة المجتمع والأهداف القومية والانسانية والقيم الروحية ، وتزويد العالم الاسلامى والوطن العربى بالمختصين وأصحاب الرأى فيما يتصل بالشريعة الاسلامية والثقافة الدينية والعربية ولغة القرآن ، وتخريج علماء عاملين متفقهين فى الدين يجمعون الى الايمان بالله والثقة بالنفس وقوة الروح ، كفاية علمية وعملية ومهنية لتأكيد الصلة بين الدين والحياة ، والربط بين العقيدة والسلوك ، وتأهيل عالم الدين للمشاركة فى كل أسباب النشاط والانتاج والريادة ، والقدوة الطيبة. وعالم الدنيا للمشاركة فى الدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، كما تهتم بتوثيق الروابط الثقافية والعلمية مع الجامعات والهيئات العلمية الاسلامية والعربية والأجنبية ـ ومقره القاهرة ، ويتبع رياسة الجمهورية .

ثم جاء فى المادة ٨ ـ يشمل الأزهر الهيئات الآتية (١) المجلس الأعلى للأزهر (٢) المجمع العلمى للدراسات الاسلامية (٣) ادارة الثقافة والبعوث الاسلامية (٤) جامعة الأزهر (٥) المعاهد الأزهرية. ثم حدد القانون مهمة كل هيئة من الهيئات وطريقة تنظيمها ، فأشار فى المادة (١٦) الى كيفية تكوين المجمع العلمى للدراسات

الاسلامية • وفى المادة (٢٥) مهمة ادارة الثقافة والبعوث الاسلامية، ومنها تنميذها قرارات المجمع العلمى للدراسات الاسلامية •

ونصت المادة ٣٤ من القانون على ما يأتى : تتكون جامعة الأزهر من الكليات الآتية : (١) كلية للدراسات الاسلامية (٢) كلية للدراسات العربية (٣) كلية المعاملات والادارة (٤) كلية الهندسة والصناعات (٥) كلية الزراعة (٦) كلية الطب • ويجوز انشاء كليات أخرى أو معاهد عالية بقرار من رئيس الجمهورية •

وتتكون كل كلية من عدد من الأقسام العملية يتولى كل قسم منها تدريس المواد التى تدخل فى اختصاصه ، ويقوم على بحوثها فى الكلية أو فى غيرها من الكليات الجامعة ومعاهدها ، وتعين هذه الأقسام بقرار من الوزير المختص ••• الخ •

ونصت المادة ٨٩ على « للحاصلين على الشهادة الثانوية من المعاهد الثانوية للأزهر حق الدخول فى احدى كليات جامعة الأزهر ومعاهدها وفق قواعد القبول التى يقررها مجلس الجامعة ولهم الى ذلك فرص متكافئة مع نظرائهم للتقدم الى الكليات المختلفة فى الجامعات الأخرى والى سائر الكليات ومعاهد التعليم العالى وفقا للقواعد المقررة لذلك •

كما يجوز للحاصلين على الشهادة العامة من المدارس الثانوية العامة أن يطلبوا الالتحاق باحدى كليات جامعة الأزهر ومعاهدها بعد النجاح فى امتحان يحقق التعادل بينهم وبين الحاصلين على الشهادة الثانوية من المعاهد الثانوية للأزهر » •

وجاء فى المذكرة الايضاحية لهذا القانون :

« فى كثير من البلاد التى تخلصت حديثا من ربقة الاستعمار ، رغبة فى التخطيط للبناء والعمل والانتاج فى مجالات الصناعة والتجارة والتعليم والتعدين والصحة وغيرها من أسباب النهوض، وهى حين تلتمس الخبراء فى كل نوع من أنواع هذا النشاط ، لا تكاد تجد الا أجانب عن بيئتها ودينها من المواطنين أو من غير

المواطنين ، وحين تلتمس من المواطنين خبراء يملكون مع الخبرة معارف دينية صحية وعقيدة واعية لا تـكاد تعرف أين توفدهم ليتعلموا ويستفيدوا الخبرة والمعرفة والعقيدة وهى عناصر ثلاثة ضرورية لتستكمل هذه البلاد نهضتها وتمضى فى وجهها على الطريق السوى ٠

واذا كان الأزهر وحده هو المعهد أو الجـامعة الذى يحرص المسلمون وراء الحدود على أن يعد فيه أبناؤهم لهذه المسئوليات فقد كان من الطبيعى أن يكون نظام الأزهر وعلوم الأزهر بحيث تعد هؤلاء الخبراء مستكملين لكل العناصر التى تهيئهم لحمـل أعباء النهضة فى بلادهم ٠

ولكن الأزهر اذ يعد علماء فى الدين وفى لغة القرآن لم يتهيأ بعد لتأهيل العالم الدينى المتخصص فى عمل من أعمـال الخبرة والانتاج التى تحتاج اليها نهضة المسلمين فى كل البلاد ٠ وحين تنبهت بعض البلاد الاسلامية الى هذه الحقيقـة المؤسفة فحولت بعثاتها كلها أو بعضها الى الجامعات المدنية فى الجمهورية العربية المتحدة أو فى غيرها من البلاد عاد اليها مبعوثوها بعد اتمام دراستهم وهم يملكون الخبرة ولا يكادون يعرفون الدين ، وفى حين يعـود المبعوثون منهم الى الأزهر وقد حصلوا من علوم الدين وعلوم القرآن حظا كبيرا ولكنهم لا يحسنون عملا ولا يطيقون انتاجا ولا يقدرون على المشاركة فى لون من ألوان النهضة التى أشرنا اليها آنفـا ٠ وبهؤلاء وأولئك تعقدت الحياة الاجتماعية فى كثير من بلاد العالم الاسلامى وتعثرت النهضة فى تلك البلاد ٠

ومن حسن الحظ أن يجمع كل أهل الغيـرة فى كل البـلاد الاسلامية على رأى واحد فى هذه المشكلة هو أن يعرف عالم الدين علوما أخرى يعيش بها ويشارك بها فى النهضة ليرتفع مقام الدين على أن يكون حرفة أو أن يكون سببا للتعطـل والضـياع فى المجتمع ، وسبيل ذلك أن تتطور معاهد الدراسات الاسلامية العالية

بحيث تواجه احتياجات النهضة ، فلا تقتصر على الدراسات الدينية ، بل يجب أن تجمع اليها علوما أخرى تتحقق بها لكل خريج الخبرة والمعرفة وسلامة العقيدة ، ليعود هؤلاء الخريجون الى مراكز القيادة فى كل مجال من مجالات النشاط فى العالم الاسلامى المتحرر ·

من أجل ذلك جميعه كان لا بد من تجديد الأزهر وتطويره والاعتراف بمكانته وأثره مع الاحتفاظ له بطابعه وخصائصه وصفته التى استحق بها أن يبقى مسيطرا على تاريخنا وعلى العلاقات الوثيقة بيننا وبين اخوان لنا فى شرق الأرض وغربها أكثر من ألف سنة ···

الأزهر وأجناس طلبته

وعظمة الأزهر تتجلى فى طلبته الذين يفدون عليه من جميع البلاد الاسلامية وغير الاسلامية ، ففيه من بلاد :

طرابلس ، وتونس ، والجزائر ، ومراكش ، والسودان ، والحبشة ، والصومال ، وبرنو ، وجنوب افريقيا ، ونيجريا ، وأوغندا ، والعراق ، والحجاز ، واليمن ، وجاوة ، وسيلان ، وأندونيسيا ، والهند ، والصين ، واليابان ، وروسيا ، والقوقاز ، والأناضول ، والكردستان ، والأفغان ، وتركيا ، والبانيا ، ويوغوسلافيا ، وبولونيا ، وبلغاريا ، والفلبين ، وغيرها · ولهؤلاء جميعا أروقة ينتسبون اليها ، ويتكفل الأزهر بأرزاقهم والاشراف على سكناهم ومعيشتهم · !!

الأزهر والوعظ الدينى

ولعل قسم الوعظ والارشاد هو صورة الأزهر البارزة للجماهير، **لأنه الصلة الروحية بين الشعب والأزهر ، أو هو سفير الأزهر الى أفراد الشعب ، فان رجاله يعملون فى كافة أنحاء الجمهورية ، بل**

وفى خارجها ، فيغشون المدائن والقرى ، وينتقلون الى الدساكر والصحارى ، ويلتقون بمختلف طبقات الشعب فى المساجد والموالد والساحات وفى المناسبات ، يقربون العلم من افهام العامة ، ويتدخلون فى فض المنازعات والقضاء على الخلافات ، تاركين فى كل قلب قبسا من نور الايمان ! •

واذا تحدثنا عما يقوم به قسم الوعظ والارشاد فاننا نقتحم ميدانا لسنا أهلا لبيان أفضاله ، لأنها فوق أن تحصى أو تستقصى ! •

مساجد ومدارس أخرى

وهنالك طائفة أخرى من المساجد فى القاهرة وغيرها ، قد أنشئت على هيئة مدارس ولها صفة المساجد ، أو مساجد لها صفة المدارس ، وكان لبعضها مكتبات وبيمارستانات «مستشفيات» وأسبلة وكتاتيب • وكان لبعضها صفة خاصة كتلك التى لمدرسة وقبة قلاون ، فهى تشبه الى حد ما « الوحدة المجمعة » فى الوقت الحاضر ، نقول ان هذا النوع من المساجد ، بالاضافة الى كل من جامع الأمير شيخون الناصر وجامع السلطان حسن بالقلعة ، وجامع قايتباى بالقرافة الشرقية ، وجامع العطارين بالاسكندرية ، والجامع العتيق باسنا ، وغيرها — كانت مباءة للعلم ومثابة للطلاب ، ولكنها ، كما يقول الأستاذ أحمد حسن الزيات « ان فضل الأزهر على علوم القرآن وعلوم اللسان ، قد يشاركه فيه بالكثير أو بالقليل، طائفة من المدارس والجوامع ، أنشأها السلاطين فى القاهرة ، ودمشق ، وحلب ، وبغداد ، والنجف ، وقرطبة ، والقيروان ، والزيتونة ، كالناصرية ، والقمحية ، والصلاحية ، والمؤيدية ، والمنصورية ، والشيخونية ، والظاهرية ، والكاملية ، والنظامية • ولكن هذه المدارس التى عفى على أكثرها الزمن لم تستطع فى حياتها منفردة أو مجتمعة ، أن تطاول الأزهر فضله الخالد على اللغة العربية ، فى بقائها لسانا للعلم ، ورباطا للمسلمين الى اليوم ! »

ومع ذلك سنتكلم عن كل مدرسة من هذه المــدارس فى المامة مختصرة تعميما للفائدة ٠

المدرسة القمحية

أنشأها صلاح الدين الأيوبى سنة ٥٦٦ هـ بجوار جامع عمرو ابن العاص ، **وكان الغرض من انشائها هو تدريس فقه المالكيــة** مع تدريس العلوم الأخرى ، كعلم الحديث ، والنحو وغيرهما ٠

المدرسة الصالحية

بناها صلاح الدين أيضا سنة ٥٧٥ هـ بجوار قبــــر الامام الشافعى رضى الله عنه ، **وكان الغرض من انشائها هو تدريس فقه الشافعية** وكان يطلق عليها تاج المدارس ، حتى اذا ما جاء القرن التاسع الهجرى حل محل هذه المدرسة مسجد الامـــام الشافعى الحالى ٠ وكانت هذه المدرسة ملتقى أئمة علماء وفقهاء الشافعية طيلة القرون الثلاثة التى أعقبت نشأتهـــا وذلك بالنسبة الى أن القضاة كانوا من علماء الشافعية ، ومن ثم وجدت رعاية خاصة من الأيوبيين ، فازدهر بها العلم هذه الفترة الطويلة .

المدرسة الظاهرية

تنسب الى الظاهر بيبرس البندقدارى ، وقد أنشـــأها سنة ٦٦٠ هـ **وكان يدرس بها المذهبان المالكى والشافعى** دون غيرهمــا من المذاهب ، كذلك كان يدرس بها علوم الحديث ، وعلم القراءات٠ وقد ألحق بها مكتبة عامرة ، ومكتب لتعليم أيتام المسلمين القرآن الكريم ٠

المدرسة الناصرية

هذه المدرسة أنشأها الناصر محمد بن قلاوون سنة ٦٠٣ هـ بشارع بين القصرين ، **وكان يدرس بها فقه المذاهب الأربعة** ، وقد اختص كل مذهب بركن من أركانها .

المدرسة المنصورية

أنشأ المدرسة المنصورية ، المنصور قلاوون سنة ٦٨٤ هـ **فجعلها على نمط الكليات والمعاهد العليا فى زماننا هذا** • فقد كان طلبتها من الفقهاء ، وأساتذتهم من القضاة ، ثم يلى ذلك مرحلة أخرى ، يقوم بالتدريس فيها قضاة القضاة لمطلبة الذين ثبتت أهليتهم وظهر نبوغهم من طلبة المرحلة التى قبلها ، على أن ما يدرس فى المرحلتين كان لا يتعدى المذاهب الأربعة ، والحديث •

المدرسة الكاملية

أنشأها السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل سنة ٦٢٢ هـ ، وهى تعرف بدار الحديث الكاملية ، وقد خصصت لدراسة الحديث وفقه الشافعية فقط •

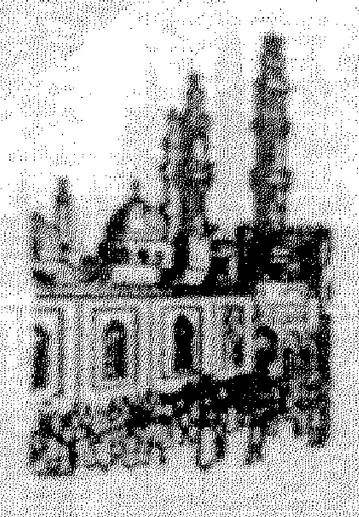
المدرسة النظامية ببغداد

وهذه المدرسة من أقدم المدارس فى العراق ، اذ بنيت فى العهد السلجوقى ببغداد سنة ٤٥٩ هـ **وكان يدرس بها الفقه على المذاهب الأربعة ، وكانت لها منزلة ممتازة وشهرة خاصة** ، فقد تخرج فيها كثير من أساطين العلم : أمثال : أبو اسحاق الشيرازى ، والامام أبو حامد الغزالى ، وكبير فقهاء الحنفية ، أبو بكر محمد بن أحمد الشاشى وغيرهم •

وبعد ، فليست هذه هى جميع المساجد التى حافظت على التراث العلمى الاسلامى طوال هذه القرون ، فهنالك مئات غيرها ، وهى لا تختلف فى واقعيتها عن هذه المدارس • **الا أننا بهذا أقمنا الدليل على أن هذه المساجد كانت مراكز للعلم ، ومعاهد للتعليم ، وجامعات للتثقيف الكامل** •• مع وجود عامل وحيد •• هو أنها مساجد •• « **فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ••** »

صدق الله العظيم •

المؤلف



الثمـــن ٢ ملـ

مطابع شركة الاعلانات الشرقية